

جــورج صيــدح

الشاعر جورج صيدح

بقلم ابو طالـب زيـان

(ان جورج صيدح منحوت من جوهر اللغة الصافي ، مصوغ بـادق تعابيرها والفاظها ، منسجم مع سجيتها في المناعة والبساطة معا . تتهادى السمات الغسانية الشماء في برود شعره بكل اصالة قريش ، وعبقرية امية ... « فؤاد الشايب »)

* * *

من المجازفة ان يتصدى مثلي الى الالمام بحياة شاعـر ، واديب كبير ، كجورج صيدح ، ويحاول التعريف به في بضع صفحات او عدد من الكلمات ، فحياة جورج مليئـة بالمفارقات ، متباينة الاتجاهات ، وان كانت قمينة بالدرس الموفى ، حرية بالانتصاف ...

ولد الشاعر في دمشق ، مسقط راسه ، ونزح الى القاهرة ، ثم غادرها الى اوروبا ، ثم انتقل الى المهاجـر الامريكية ، ثم عاد الى وطنه ، واتخذ بيروت دار اقامة له ، ثم ارتضى باريس سكنا واقامة ...

ومن الخطأ كل الخطأ ان يمضي المؤرخ لحياة جـورج صيدح في التأريخ ، دون ان يسترعي انتباهه ، هذا التنقل العجيب وهذا النزوع الى التغيير والتبديل في السكن والاقامـــة ...

فهل كان هذا الشاعر ، ينزع على طول حياته ، الى تكوين عقله ، او مصارعة الحياة في مختلف شكولها فـي اكثر من بلد ، او اكثر من موطن ، ام هو الولع بالتغيير والتبديـــل ؟

الواقع ..اننا نظلم الاديب الكبير ان نحن اغفلنـا حياته الاولى التي عاشها في دمشق ، ونظلمه اذا نحن لم نعرف ان الشاعر اخذ ثقافته الاولى من موطن ولادته ، وخرج الى الحياة يتسلح بهذا السلاح الذي ظل يشهره في وجه كل من يعدو على لغته حتى اليوم ، وهو في بـلاد تغاير لغتها لغته ، وتنأى بكلها عن ثقافة صيدح ، وان كان يزحمها بعلمه ، ويحاربها بثقافته ، ويتمارس مـع اهلها بالدل والتيه والعجب ، ان كان هناك دل ، او تيـه وعجـــب ..

فحياة جورج صيدح في « عينطورة » وهي يومئـذ مقصد الطلاب من كل فج ، بلون ثقافتها الفرنسية بيـن المعاهد ، تعطينا المثل الرائع على التفوق والمثاليـة ، اذا عرفنا ان الكثير من نابغي ذلك الجيل قد اخذ حظه الزاكي من الدرس على مقاعدها ، ونال شهرته بين العلماء والادباء مـــن تعاليمهـا ...

ولقد كان التفاعل الذي اتسم به ذلـك العهـد ، واستجاب له الاديب الكبير ، هو الدافع له على المضي في هذه الهجرات المتتابعة التي جعلت منه انسانا لا يمل على طول سني حياته ، او ييأس على كثرة ما قطع من نهزات الحياة التي حفلت بالعظائم في نفسه ، وتجمعـت علـى هداهـا كينونتـه .

نزل مصر ، وقضى بها شطرا كبيرا مـن حياته ، يدرس الادب ، ويتصل بالادباء ، ويعقد صلات واعية مع ادبائها وعلمائها ، وقادة الفكر فيها ، على عهده ، حتـى امتلأ وعاء نفسه وفاض كيله ، حتى لم يعد بحاجة الـى المزيد او الاستزادة من محافل الادب ، او مجامع العلم ، او مجالس الفكر والمناظرة ، وان اتسمت تلك الاعوام التي قضاها بالعجف ، وغلب عليها طابع اليأس والاكفهـرار والعبوس ، فاتجه الى المهاجر ، ليقطع ذلك الشوط الذي قطعه انداده في حرفة ، تبعد عن ما خلق له ، وتتبايـن مع اتجاهاته وميوله وما اعد نفسه له ...

اشتغل الشاعر الكبير بالتجارة ، ولما نـال رزقـه ، وازدهرت ثروته ، لم يمض فيها على طول الاغراءات التـي اكتنفتها او احاطت بنفس هذا الاديب .. فقد رجع الى حرفته ، واخذ في تعبئة قواه المستأنفة ، ليعلي من شأن دولة الادب ، قوة ودفعا ، ويعمل ما وسعه علـى سيادة الكلمة وسؤدد قائلها ، ورفعة الذين يقولونها حرة كريمة تفيض بالحياة ، وتنبض بالحركة والحيوية .

يتسم ادب صيدح بالوضوح ، ويرتكز على الالهام

النابع من انطباعاته الاولى في دمشق في فجر الحركة العربية التي كان اهلها يعطون مناداتهم للترك في الظاهر ، ويختزنون في شرايينهم ، حرارة البعث العربي في الباطن . ومر الشاعر الكبير بهذه التجربة وهو في مقاعد الدرس ، يعي ويرتقب النور الذي طلع فجرا على نفسه ، وهو ينزح من بلد الى بلد ، ويهاجر من مكان الى مكان ، وفي جنباته التيه والعز والفخر ، بهذه الانتفاضة التي وعاها صبيا ، وجنى بلده ثمارها وهو بعيد عنه ، يجتر ذلك الرحيق الذي يحلو له ان يتردد على شفتيه وهو في الاغتراب ، ويعاود الحنين اليه ، كلما تألبت على نفسه العلل ، او صارعته الامـراض .

وهناك مصدر الهام آخر ، نبع من الاصوات الحرة التي صنعت « الدستور » ، او صاغت مواده ، تهدئة لثورتها ، وكبحا لجماح غضبها في المطالبة بحقها ، او عمل لها ، نتيجة غليان الوطنية في عروق ابناء بيروت ودمشق ، الذين عملوا جاهدين على خلق هذا الدستور ، للاعتراف بحقهم السليب ، وان اريقت في سبيله الدماء ، وحصدت الارواح ...

على ان الحركة الوطنية التي قامت في مصر بقيادة سعد زغلول ، كانت النبراس الذي اضاء الشعلة في نفوس الوطنيين في جميع ارجاء الوطن العربي ، فضلا عن الثورة الكبرى التي ظهرت في جبل العرب ، تجتاح العالم العربي كله بعنف وشدة ..

والواقع ان هذه الثورات الكبرى ، قد ولدت في نفوس الشعراء ، حركة متجاوبة ، وغرست في قلوبهم الدفاع عن اوطانهم ، بما يملكون من قول ، وما يستطيعونه من ترانيم هي أفعل في نفوس اخوانهم من انتضاء السلاح او الوقوف في الميدان .

فالشعر القومي الذي صاحب ظهوره هذه الحركات ، كان نتيجة لهذه الانتفاضات القومية على الاجانب الذين استعمروا هذه البلاد ، وعاشوا فيها هذه السنين الطوال ، دون حق ، حتى كان هذا الوعي العربي الذي استجاب له الشعراء في جميع الارجاء .

فهل كان جورج صيدح ، المغترب ، ببعيد عن هذا المد الثوري في الوطن العربي ، او هل كان غير راض عن قيام هذه الحركات .. او هل استجاب لهذه الحركات ، وهو يضرب في ارض بعيدة ، ويوغل في دنيا الافرنج ؟

في ديوان جورج صيدح « حكاية مغترب » يتجاوب الشاعر بروح عربية نزاعة مع هذه الحركات الثورية التي قامت في الوطن العربي ، ويمتدح ابناء وطنه الذين هبوا لهذا النضال ، ويبارك هذه المعارك التي اسفرت عن هذا الانتصار الرائع في كل ارجاء الوطن .

وليس ادل على هذه المشاركة من قصيدة « الحجيج » التي قيلت و « فلسطين » في اشد نزيف واقسى موقف :

حجوا جناح الله واعتصموا   يا قاضي الحاجات ، كن لهمو
الروح تسمع ما يخالجهم   ان سد آذان الورى صمم
والركن يلمس من شعائرهم   شكوى تضيق ببثها الكلم
ما كان يوم النحر يشهدهم   عربا يطوق نحرهم عجم
طافوا ، ولولا انهم خجلوا   من ربهم ، عادوا وما استلموا
ان الحجيج يحثهم أمل   غير الحجيج يحزهم ألم
علم على الحرمين ذكرهم   بالثالث الهاوي به العلم
بالمسجد الاقصى ، بجيرته   بمأتم في العيد تنتظم
بخلائق نحرت وما سمعت   ذكرا عليه ينحر الغنم
بفواجع في الدور نازلة   لم تنج من اهوالها الخيم
حملت فلسطين الصدور الى   قبر الرسول اليه تحتكم
تستشفع الاضحى وحرمته   في موطن هانت به الحرم
في أمة للبيت زاحفة   والغاصبون ببيتها ازدحموا

والذين يعرفون جورج صيدح ، يعرفون فيه الوفاء ، والصدق ، ويمتدحون مواقفه الكثيرة الجليلة : فاذا ما رمى المنافقين بالخيانة ، يرفق بهم ، ولا يقسو عليهم ، ولا يلجأ الى افتضاح امرهم ، واكتشاف كنههم ، داعيا الى التستر ، والتجاوز عنهم كلما وجد الى ذلك سبيلا ، ولا يتحول الى التصريح الا نادرا ، عندما يستفحل الداء ، ويتعذر الشفاء الا بالمبضع ، عندئذ يلجأ على مضض الى هذا السلاح :

احببتكم وبلوت نجدتكم   فاذا الذي استنجدته صنم
فرغت يدي منكم وما فرغت   اذني كان لبانتي نغم
لم يبق فيكم من عروبتكم   الا لسان مفصح وفم
ان العروبة يا بلابلها   روح على كف الفتى ودم !

وللوفاء في نفس جورج صيدح المقام الاسنى ، والخلة المحمودة ، وللعتاب كذلك وقفات ووقفات ، لا يستطيع الزمن تغافلها ، او نسيانها .. وبخاصة وهو يتناول وطنه الذي تغافل عن ابنائه النوابغ الذين رحلوا عنه ، وفي نفوسهم المحبة له ، والاجلال لترابه ، والحنين اليه مهما بعدت بهم النوى ، او شط بهم المزار :

رب أحجار من الشرق انتفت   أصبحت في حائط الغرب دعامه
وعظيم شاب في دار النوى   لن تلاقي داره الا عظامه
كمت الاوطان فاه فاعتلى   منبر المهجع يستوفي كلامه

ولجورج صيدح ، قدرة عجيبة على تصوير المشاهد ، والتقاطها بين يديه ، ورسمها في مخيلته ، وابرازها ، مجلوة بثوب من البيان فضفاض .. فهو في « محطة القطار » يصور ما شهدته عيناه ، ويخلبنا بروائع بيانه ، ويجعلنا نلمس الصورة ونحسها ، كأننا كنا معه على سفر او مصاحبين له في تلك الرحلة :

نظرت الي ، ولم تنظ   تكسر طرفي على المرمر
سكوتك احدوثة الشامتين   فلا تحرجي موقفي ، ثرثري !
حضرت وداعي وفكرك ساه   شريد ، كأنك لم تحضري

فالشاعر في هذه الابيات ، ناعم الملمس ، لا يتكلف اللفظ ، ولا يلجأ الى المعنى الغامض ، بل يسكب في هذه المشاهد « حياة من روحه ، وجمالا من ابداعه ، فضلا عن الالمام بسائر الدقائق الخافية في هذا « الوداع » . ففي هذا المنظر البسيط ، يخلع الشاعر عليه من نبضات قلبه ما يجعله يثور تحت عيني القارىء كالبركان ، وان كانت

سحر العيون

•

ارقتني والليل ساج وقلبي
موجع والقروح تدمي جفوني
ثم قالت وصوتها العذب لحن :
كيف يغفو اخو الهوى والشجون؟
عش خليا اذا اردت ارتياحا
ورقادا على مروج السكون
انما الحب في يقيني وديني
ان يذيب الحبيب سحر عيوني

حلب — عبدالله يوركي حلاق

السذاجة توشك ان تلم به ، وتحيطه من كل جانب ، وهذا سر العبقرية التي ترامت ظلالها على كل مكان ..

يقول الشاعر العبقري :

عهدتك أوهن مني مراسا — فكيف صبرت ولم اصبر !
أهز يديك ولولا الحياء — هجمت على فمك السكري

لم يجعل جورج صيدح ، حبيبته في برج ، لا تنال فيه ، او عنقاء ، لا يتطاول اليها الزمن ، وانما جعلها واحدة كسائر بني آدم ، تنال كما ينال بسطاء الناس ، وان هي تسلحت بالجمال ، وانفردت بالحسن ، وناله منها الازدراء :

ولما ضحكت ازدراء ودلا — عبست وصرت انا المزدري
تحولت عنك الى الاقربين — أطبب جرح الاباء الطري

ولقد سار القطار ، وانتهى ذلك الموقف ، وانصرف المودعون ، وسكنت ثورة الشاعر ، وهدأت نفسه بعد ما انطبعت بتلك الاحاسيس الدفاقة :

وعج القطار ومج البخار — غماما على وجهك النير
تقلص عرض الرصيف وغارت — رسوم المحطة والمعشر
وطرفي يرود شقوق الضباب — « المدمى » بفستانك الاحمر
وفي الخد قطرة دمع حيي — تود الرجوع الى المحجر

على ان اهم خصيصة يمتاز بها جورج صيدح ، ان الخواطر مهيأة في ذهنه دائما ، وعلى استعداد للانطلاق ، وما عليه الا ان يلبسها حلتها من الكلمات ، ويخترع لها مخرجا ومدخلا ، وهي ميزة ينفرد بها الشاعر ، وقلما تتوافر لغيره من الشعراء .

ومواقف جورج صيدح ، او انفراده بهذه الميزة اجل من ان يحصيها عد ، او يلم بها منصف في باب من ابواب التأريخ الاخلاقي لكثير من الكاتبين والشاعرين ، فكثير من استجاباته لمواقف فرضت عليه ، او فرض هو نفسها عليها ، خير دليل ، واقمن شاهد على صون البيان وعز اللغة في بنان هذا الاديب ..

فقد دعي الشاعر للمشاركة في حفل تكريم اقيم في « روساريو » للمجاهد « خليل بنوت » الذي كان ينشر مآثر العرب باللغة الاسبانية ، ولشد ما يروع المطالع لابيات جورج صيدح ، ويستوقفه هذا الوصف الرائع الذي وصف به صيدح ، حالة الاديب العربي ، لا في المهاجر الاميركية فحسب ، بل الاديب في سائر اجزاء الدنيا ..

يكشف الشاعر جورج صيدح في هذه الاستجابة المطواعة عن نفس شفافة حانية ، ويصب معانيه في قوالب من ياقوت ، مصوغة كلماتها بقطرات نفس ملتاعة على مصائر كثير من هؤلاء الادباء الذين يضربون في كل ارض، ويعيشون في كل وطن ، ينفعلون باحداثه ، ويسعدهم ان يكلأهم برعايته ، ويشركهم في انفاسه ، ولكن ... :

حسب الاديب وقد مشى بصليبه — ان لا يخر على الصليب قتيلا
او ان يعيش على الكفاف ويتقي — قالا يلفقه العذول وقيلا
متفرجا في مسرح الاطماع لا — ترك المكان ولا وعى التمثيلا
كشفت له الدنيا دخيلة صدرها — فرأى التشبث بالرذيل رذيلا
آلى الصعود فلم يصاحب موكبا — سلك الطريق الى الثراء نزولا
نحن المشاة السائرون على الحصى — نحدو السراة الراكبين خيولا
ولقد نكون السابقين الى المنى — لو ان في هذا السباق عدولا
للمجد نحملهم على اكتافنا — ولربما حمل الخفيف ثقيلا
يتنكرون له وهم أطلاله — ويرون في جبريلهم عزريلا
فتحوا المتاجر في المهاجر ليتهم — فتحوا قلوبا مثلنا وعقولا
لو تعلم الفصحى مدى خدماتنا — ضفرت لنا من شعرها اكليلا

ويظهر ان الشاعر مشى به ما مشى بغيره في ديار الغربة ، وجرى عليه ما جرى لغيره من الادباء .. فيقول في جرأة عجيبة ، عندما افتتح المواطنون فرعا لمصرف في « الارجنتين » :

مشى بنا الدهر من حال الى حال — يا دولة الشعر حيي دولة المال
تطور القوم ، ما لي لا اهنئهم — وقد اصابوا ثراء بعد اقلال !
أسياع مال تلاقوا عند كعبته — وكان عهدي بهم أسياع موال..
هذي عكاظ دنانير مفوهة — بل المباراة في حملان أثقال
تصرفت بحظوظ الناس هازئة — بالعاكفين على تصريف افعال
لا وزن للمرء لم يظفر بوزنتها — هل يستضاء بنور تحت مكيال ؟
وجدت نفسي غريبا عن منابرها — لا صوت يسمع الا صوتها العالي
في ندوة تجمع الربين ساجدة — للعجل سجدة مثال لتمثال
تنكب الروح عنها فهي في نظري — مهما تأنق بانوها كاطلال
وعدت من حفلة التدشين انشدها — واها على خيمة في المربع الخال

وليس شك في اننا نظلم الشاعر والاديب الكبير ان نحن حصرناه في هذه الجوانب ، وقصرنا جهوده في هذه الترانيم الخاطفة ، والتحليقات العابرة ، فهو احق بالتأريخ في كل جانب ، وأولى بالدراسة غير المتحيزة في كلمات متتالية ، وان كنت لا أدعي ايفاءه حقه ، او الوصول الى كنهه ومبتغاه ...

القاهرة — ابو طالب زيان

الخبرة واستقطاب المجهول

بقلم محمود الحسنية

* * *

عندما تتجه الوسيلة النظرية الى جلاء حقائق اغراض البحث النزيه واعلاء شانه ، يتجه جهاز التفكير الاستنباطي في ضرورته الملحة الى الادراك ، ويتاح للاستنتاج اثر تنسيق عمليات التعريفات والتصنيفات ان يبين مكان القيمة الادراكية ويحدد موطنها ، وكثافتها وعمقها وغزارة مادتها .

وهكذا تبدأ المعرفة بملاحظات نوعية في تحديد المشكلة العارضة ، وتنتهي الى تحليل الفكرة ومقارنة الاصول الصحيحة ، بوعي اكثر عمقا ، واوفر ادراكا . ولا غرو فالاهتمام الجدي بكل ما يعرض للانسان يبين ان الاداة العقلية هي افضل وسيلة في تحقيق الهدف والغاية ، حيث يتهيأ العقل لمجابهة شتى الضرورات العملية التي قد تطرأ فجاة ، لذا كان التجريد في تطبيق بعض الاختبارات بالمقارنة او بالتصنيف عميم الفائدة ، فالاجزاء التي تطوعت لتقديم العون معه ، تمثل من الوجهة الغائية الطريق الامثل ، وهذا يعني ان خبرة معينة قد انطلقت الى خبرة اخرى لتزيد الانسان يقينا وادراكا وتلقي له نورا على ماهية الاشياء ، حتى اذا حدثت مشكلة كانت اداة الحل في يقظة معبأةالقوى دون ان تلجأ الى التمحيص وتنتظر الوقت الطويل ، بل تدخل فجأة في التجريد واستنباط المعرفة ، تدغم الاجزاء السلبية والايجابية ، بالملاءمة والتحضير ، والتنسيق ، تقارن بينها ، تنتزع الفاسد وتقديم الجدوى في عمليات اختيارية تستهدف حسن النوعية ، ثمتدخل اشياءها الى مدار الرقي والتطور ، بقوة تأثير المدركات العقلية التي لا تلبث ان تسلط عليها الاضواء .

وبديهي ان يوازن المرء بين هذه الحالات المختلفة ليستنبط الافضل والاكمل ، فالمساوىء اذا ما جمعت يظهر تأثيرها على الانسانية من ضروب في الشر والخسارة ، ويبدو جليا ما يقابلها من الصحة ، والثروة والاجتهاد ، والعفة ، والمقدرة العلمية ، والتقنية ، اذ كلها ادوات ووسائل خيرة لا تخفف من حدة المعاناة والالم فقط ، بل تستخدم لتوطيد ركائز المجتمع وتطوره الحضاري على اسس ثابتة تشمل المرافق الاجتماعية والاقتصادية والعلمية .

ومع ان علم النفس الحديث اعترف ان بعض الاوهام والاحتمالات والتقديرات التي قد يلجأ اليها الانسان احيانا تساعده على حل بعض معضلاته ، كما تقدم له بعض الحلول المرضية في تخفيف بعض الشعور المرير الذي قد ينتابه ، يبقى الفكر العامل الاساسي في مواجهة الحقائق ، يكتشف ويحدد وجودها مع درجة الخير والشر فيها ، كما يستثير حب الاستطلاع ورغبة التنقيب طمعا بما سيحدث من كمال وتطور، فالملاحظة تشخيص ، والتشخيص ينطوي على اهتمام ما نرقب حصوله ، فالادلة والبينات تشهد بالاستنتاج على حدوث شيء .

اما القلق الذي يساور انسان هذا العصر فاسبابه دون شك تتصل بالمعرفة ذاتها وبالانتصارات العقلية والعلمية والمادية التي حققها ، وبما رافقها من قوة هائلة مدمرة يخشى معها ان تطيح به وتقضي على هناءته بطغيان او بتوجيه خاطىء شرير ، فهي كالوحش الاسير المهتاج يخافه حتى المروض ، لانها تحمل في كيانها الخير والشر كما تحمل اسباب الحياة واسباب الفناء .

والمعرفة في التوجيه المركز لا تقتصر على ادراك نفسها فحسب ، بل تعتبر وسيلة الى العمل المثمر ، والتطور المرتقب ، تستخدم القوة لتوسيع الخبرة وتجعلها ثرية ، حافلة ، تخلق نفسها بنفسها ، تنظم امورها ، تسير شيئا فشيئا ، الى هدفها نحو الخير والكمال .

وطبيعي ان نرى الانسان مع هذا الثراء الغزير من الادراك والخبرة يغزو الكواكب والفضاء ، حيث ضاقت به حدود افق المعرفة على هذا الكوكب الارضي فوسعها واقام هناك حدود معرفته متنقلا الى عالم مشحون بالالغاز والاسرار الطبيعية .

وما دام العقل ذكاء يقوم على اجراء التجارب ، فانه في مجال عمله المتواصل الحثيث سوف يحطم كل عقبة تعترضه ، ولكنه يضعف ويخبو اذا ما اعتمدناه ليبقى الى الابد كشيء ظفرنا به ، فهو كالمولد تتزايد قوته بالعمل والحركة ، وتفتر بالتوقف والاهمال . وعندما تحركه قوة الارادة الخيرة لدى كل عمل بناء ، يقدم بالخبرة المستنبطة ،وحقول العلم الحديث ، الوانا من الحلول والابتكارات ، لا تنتهي مع الزمان والمكان ، بل تسير دائما وابدا عبر المعرفة ، نحو المجهول تمعن السير وراءه ، حيث لا نهاية لهذا السير الممتد الى اللانهاية ولا ادراك لذلك المجهول الكبير الرابض على حدود المعرفة . ومهما حاول الانسان جاهدا بقوة ادراكه ومعرفته في حل الاسرار المغلقة في هذا الكون فانه يعجز عن استقطابها كلها ولو كانت له بصيرة بقوة نور السنة الضوئية .

اذ يتضح لكل من امعن توغلا في حقول الخبرة والاستنباط ان وراء خبرته اسرارا مغلقة ، ووراء معرفته اسوارا مجهولة ، وكثيرا ما يظهر المجهول في مجال المعرفة ، فيتحداها ويقيم فيها حدوده ، والمعرفة والمجهول نقيضان يلتقيان ولا يتفقان ، يقوم الاول على وجود الاخر ، ويقوم الاخر دليلا للاول ، حيث تتلاشى المعرفة اذا انتفى وجود المجهول ولم يعد له من اثر ، حيث يعرف الشيء بضده .

ولا غرابة اذا رأينا طاقة المعرفة الديناميكية تفجر كل يوم الاف الاسرار المغلقة في هذا العالم دون ان تقضي نهائيا عليها ، ودون ان تفت هذه المقاومة في عضد تلك الطاقة المفجرة ، فتفتر وتضعف ، فالاسرار المغلقة تظهر باشكال مختلفة وفق الحالات التي تقوم عليها ، والزمان الذي تعيش فيه ، وكثيرا ما تولد تفجيرات المعرفة الكثير من هذه الاسرار المغلقة والمجهولات المتجزئة .

لذا كان الاستقطاب والقضاء التام عليها ضربين من المستحيل ترفضهما المعرفة نفسها .

محمود الحسنيه

افاقت الزوجة من احلامها على ساعة الجدار ، وهي تدق العاشرة ليلا ، وعصام لم يعد ، فقامت الى الساعة تمعن النظر فيها عن كثب ، وتتأمل عقاربها ورقاصها ، وتصغي الى صوتها الرتيب . كانت كل حركة من عقربها الكبير تزيد في مخاوفها ، وكل دقة من دقات ثوانيها تضاعف وساوسها وظنونها .

مرت عشر دقائق ، وسميرة في وقفتها امام الساعة تتأملها دون ان تراها ، بل ترى وراء زجاجها صورا من الماضي الباسم الضحوك ، والى جانبها حوادث من الحاضر العابس .

كانت اول الصور التي رأتها صورة عصام ، وهي الى جانبه في اول لقاء لهما . انها ما تزال تذكر هذه الساعة التي قلبت حياتها راسا على عقب ، وجعلتها تشعر بالسعادة ، وترى الدنيا ترقص بين يديها .

وتتابعت الصور ، وتكرر اللقاء ، وحبهما يكبر يوما بعد يوم ، الى ان اكتمل ... ولكنه ابى ان ينقص .

لم يكن حبهما نزوة من نزوات الشباب ، ولكنه حب عميق ، نبيل في معناه ، شريف في غايته . ومن اجل هذا ما كاد عصام يحصل على اجازة الحقوق ، حتى شاء ان يضاعف فرحته ، ويحقق الحلم الذي طالما تاقت اليه نفسه ونفس سميرة .

انقضت ثلاث سنوات ، وسميرة لا تزداد بفتاها الا حبا وتعلقا ، فهي تبكي اذا غاب ، وتحزن اذا تأخر ، وتارق الليل بطوله اذا حضر حفلة او لبى دعوة صديق . ولكنه رغم ذلك لم يسبق له ان تأخر حتى الساعة العاشرة ، كما تأخر اليوم . ان عصام قد تغير ولا شك . لقد خرج من يدها ... لقد خسرته . من يدري من هي المجرمة التي انتزعته منها ؟.

وما كادت سميرة تصل بتفكيرها الى هذا الحد ، حتى شعرت بالدموع تبلل خديها الاسيلين . وفجأة تذكرت شيئا خيل اليها انها نسيته بالمرة ، فقامت الى الهاتف تدير القرص . وما هي الا ثوان ، حتى تهادى صوت عصام في اذنها يقول :

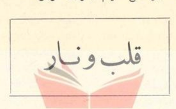
— سوسو ؟. انت سهرانة ؟. آسف لتأخري .. كم الساعة الان ؟.

فاجابته بسخرية مرة :

— وما الداعي لاسفك يا عصام ؟. ابق في مكتبك مع الفاجرة التي انستك الوقت ، وانستك زوجتك ودارك !

ولم تنتظر سميرة جوابا ، بل القت السماعة بعنف ، وانهت المخابرة وجلست تبكي .

دهش عصام واضطرب لهذه الصاعقة التي وقعت في اذنيه ... لقد تعود من سميرة في الماضي غيرتها عليه ، ومراقبتها اياه ، وكان هذا يزعجه كثيرا ، ولكنه كان يحتمله بصبر وطول اناة ، املا بأن تزول هذه الغيرة مع الايام ومرور الزمن .



بقلم عبد الغني العطري

ولكن سميرة لم تكن لتزداد الا امعانا في وساوسها واوهامها ... اما اليوم فقد طفح الكيل ... انه شيء لا يحتمل ... أليس رجلا صاحب عمل ، يتطلب منه السهر والملاحقة ؟. ثم انه في ذلك اليوم بالذات لم يغادر مكتبه في المساء . ولم يستقبل احدا ، بل اغلق بابه وصرف موظفيه ، ولبث وحده يدرس قضية مصرع المزارع الشهير سعيد الحموي ، انها قضية واضحة ، ولكن كان لا بد لعصام من السهر على درسها للوصول الى خوافيها . فما معنى هذا الاتهام الصريح الذي صبته زوجته كالرصاص في اذنيه ؟ كان عليه ان يتصل بها هاتفيا ويخبرها عن اضطراره للتأخر ، ولكن ساعة المكتب التي تعطلت في ذلك اليوم ، جعلته لا يشعر بالوقت ، وهو غارق في اضبارة المزارع القتيل . فهل يبرر هذا السهو البسيط اتهامها الظالم ؟.

وقام عصام فجمع اوراقه .. ولما بلغ المنزل وجد زوجته الشابة غارقة في بحر من الدموع ، فلجأ الى لباقته وكياسته ، يستعملهما سلاحا للقضاء على وساوس سميرة . وقد وفق فيما اراد ، او هكذا خيل اليه عندما راى سميرة تكفكف دموعها وتبتسم .

ولكن الوساوس والغيرة عاودتها ، عندما ارادت ان تنام ، فاقضت مضجعها ، وجعلتها تحس بانها تنام على شوك ونار ، لا على فراش وثير .

ونام الزوج ملء جفنيه ، وظلت هي تتقلب . وكلما صور لها الوهم ان زوجها كان قبل مجيئه بين احضان غانية سواها ، احست بالنار تكوي ضلوعها ، وتأكل صدرها ، فتصر باسنانها حينا ، وتعض على اصبعها حينا آخر .

وما أفاقت في اليوم التالي ، التفتت الى زوجها فلم تجده في سريره ، فقامت كالمجنونة الى الهاتف تدير القرص ، فاذا بصوت ناعم يجيبها : يجيبها :

— من انت ؟. وماذا تريدين من الاستاذ عصام ؟.

وجن جنونها .. انا سميرة ماذا اريد من عصام ؟. لعل لم يبق لي منه نصيب ، حتى تسألني هذه الفاجرة عما اريده منه ؟. ومن اجل هذه اللعينة ذهب عصام دون ان يودعني في الصباح ؟.

واحست بالسماعة تقع من يدها ، دون ان تقوى على حملها ، ولمحت نفسها على المتكأ العريض ، تسقط فوقه وتمزقه باسنانها ، وتبلله بدموعها السخينة .

وانتصبت فجأة ، وقد خطر لها خاطر ، فارتدت ثيابها على عجل ، وتوجهت الى مكتب زوجها ، وفي نيتها ان تصفعه وتقتل الخائنة التي شغلته عنها امس واليوم ، والتي جعلته يتأخر بين يوم وآخر . هذه الفاجرة ستركلها وتسحقها بقدميها .. ستقضي عليها ، ولتفعل بها الحكومة



ما تشاء . ان عصام لها وحدها .لقد احبته منذ سبع سنوات ، وتزوجته، ويجب ان يظل لها وحدها . انها لن تسمح لانسان ان يشاركها به .

ولما بلغت مكتب زوجها لم تجد فيه احدا ، بل لمحت امراة بسيطة الثياب والمظهر ، تنظر الى الشارع العام من خلال الشرفة ، فتأملتها لحظة .. امن اجل هذه الحشرة يخونني عصام .. ومن اجلها اسهر الليل وتضيع سعادتي ؟. ولم تتمالك نفسها ، بل هجمت على المراة من خلفها ، وانهالت عليها ضربا ولكما ، واخذت تكيل لها الشتائم . . . ونظرت سميرة في وجهها ، فاذا بها امام عجوز قد جاوزت الخمسين ، لا يبدو عليها سوى مظهر الخدم . فخجلت من نفسها ، ودنت منها تطلب المعذرة والصفح ، حين عرفت انها والدة احمد خادم زوجها ، وانها حضرت لتنظف المكتب بدلا من ولدها المريض.

لم تهدأ سورة الغيرة في صدر الزوجة الشابة ، رغم ما حدث . وكيف تهدأ وهي تتخيل زوجها في كل لحظة يغيبها عن المنزل بين احضان غانية سواها ؟. لذا ضاعفت رقابتها عليه ، وملاحقتها لكل حركة يقوم بها ، الى ان اقضت مضجعه ، واستبدلت سعادته بشقاء ، ونعيمه بجحيم . وصار عليه مساء كل يوم ان يجلس على كرسي الاعتراف ، ويخبر زوجته باسماء جميع زائريه، وكل من تحدثوا اليه بالهاتف ، او قابلهم في الطريق ، او رآهم من قريب او بعيد !.

كان عصام يجزل لها النصح ، ويتفانى في اظهار الوفاء والود لها ، ولكن سميرة كانت تقابل نصحه ووده ووفاءه ، بسخرية واشمئزاز، ظنا منها ان عمله هذا ، ما هو الا ستر لخيانته التي يرتكبها .

وذات ليلة استيقظ عصام على صوت زوجته ، وهي تهذي في نومها، وسمعها تتأوه وتقول :

ــ يجب ان اعرف الخائنة .. لا بد ان اقبض عليها ، وعندما اعرفها سأقتلها مهما كلفني الامر ، بل مهما كانت النتيجة . عصام ... لقد تبدلت يا عصام .. انني احبك .

استمع عصام الى هذيان زوجته طويلا ، ثم نهض من سريره ، ودنا منها ، فرأى العرق يتصبب من وجهها . ولما لمس جبينها ، ادرك ان النار التي تشتعل في قلبها ،امتدت الى سائر جسمها ، وانها وقعت ضحية حمى خطيرة ، لا يعرف نتائجها الا الله .

حين كتب لسميرة ان تشفى ، كانت قد اصيبت بنحول شديد ، وضعف عام في البنية . ان شيئا واحدا فيها لم يضعف ولم يمرض ، هو غيرتها على عصام ، وشكوكها في وفائه واخلاصه . لقد انخفضت حرارة جسمها ، وانطفأت نار الحمى فيه ... ولكن نار القلب وحدها لم تنطفىء ولم تنخفض حرارتها ، بل لعلها تزداد اشتعالا وتأججا يوما بعد يوم .

واستيقظت ذات صباح ، وكان الفصل ربيعا ، والطقس دافئا ، فرأت عصام يقف في الشرفة ، فانطلقت نحوه وهي تصيح :

ــ الم احرم عليك الوقوف في الشرفة وحدك ؟

فنظر اليها شزرا ولم يجب .

وتطلعت الزوجة الى بناء بعيد ، فلمحت وراء الشرفة خيال فتاة ، فأخذت ترغي وتزبد ، وتكرر عليه درس الاخلاق والحشمة والفضيلة ، الذي اعتاد ان يسمعه منها مرات عديدة كل يوم .

كتم الزوج غيظه وألمه ، وصبر على مضض ، واخذ ينظر الى السماء مستغيثا ، طالبا الرأفة والرحمة ، راجيا انقاذه من الجحيم الذي يحيا فيه .

لم ينبت عصام ببنت شفة ، بل ارتدى ثيابه على عجل ، واغتنم فرصة انشغالها ، فذهب الى مكتبه ، دون ان يودعها . وما كاد يبلغ مكتبه حتى اتصل هاتفيا ببعض زملائه ، لامور تتعلق بعمله .

بحثت الزوجة عن عصام فلم تجده ، فانثنت الى الهاتف تدير القرص .. ولكن الهاتف ابى ان يجيب . كان الرقم الذي تريده مشغولا . مرة واثنين وثلاث مرات ، والرقم المطلوب يشير الى انه مشغول دائما .

فاشتعلت النار من جديد في صدرها .. ان زوجها ولا شك يغازل فتاة الصباح بالهاتف .. انهما يتفقان على موعد .. انها مؤامرة جديدة لخيانة جديدة يالله ... لم يعد عصام يستحي . انه يخونها كل يوم .يجب ان تكون معه اكثر حزما .. يجب ان تضع حدا لخياناته وغدره .

وانطلقت سميرة كالسهم ...

وشعر عصام بأن باب مكتبه يفتح بكثير من العنف . واطل وجه ثائر معربد ، كانه وجه ابليس . وكانت غرفة الاستاذ عصام تضم سيدة تصحبها امها ، وقد التجأت السيدة اليه ، طالبة مساعدتها على الطلاق من زوجها ، لانه سيء المعاملة ،شديد الغيرة عليها ، يشك في كل عمل من اعمالها ، وكل حركة من حركاتها ، حتى قلب نعيمها الى جحيم ، وهناءها الى شقاء مقيم .

تأملت سميرة في وجه السيدة الحسناء ، فلم تشك بانها هي ... هي التي يخونها معها .. فاقتربت من زوجها وبصقت في وجهه ، وانثنت الى السيدة فصفعتها صفعة كأنها من نار ، وانطلقت الى الباب تريد الذهاب . ولكن عصاما قرع الجرس لخادمه على عجل ، وأمره بالقبض على سميرة ، وحجزها في الغرفة المجاورة بعض الوقت .

وكتب عصام بيد مرتجفة ، سطورا قلائل ، وضعها في مغلف ، وخرج الى سميرة ، ودس في يدها المغلف وهو يقول :

ــ ارجو ان تتسلمي جواب عملك!

وعاد عصام .. وقد شعر بانه تخلص من جميع همومه ومتاعبه .. ونظر الى السيدة الحسناء ،وابتسم لها ابتسامة ذات معنى !.

دمشق عبد الغني العطري



لبنان

حافظ جميل

●

ذر الدمع الملح يزيد وكفا ... فما لك غير لبنان وتشفى

صبرت ولات مصطبر لنضو ... اطل على منيته واشفى

بلوت الحادبين عليك طرا ... فلم تظفر باندى منه عطفا

اظلك في الشباب فكان وكنا ... وحاطك في المشيب فكان كهفا

ومن لك في النوازل ان المت ... بارعى ذمة منه واوفى

كفاك به لدى الازمات درعا ... وان نابتك نائبة فسيفا

* * *

اغثني وارع يا لبنان قلبا ... اذا خطرت له ذكراك رفا

وبث جوانحي نفثات شعر ... يجبل عواطفي لهبا مقفى

واين من الشعور المحض شعر ... يحبره لك الشعراء زلفى

صدقتك فيه عاطفتي فافضى ... باصدق ما يخالجني واصفى

وصفت لنظمه حبات قلبي ... فلم اترك به غشا وزيفا

ولو فصلت فيه سواد عيني ... لما وفى جميلك اذ يوفى

* * *

حديث الحب يا لبنان مر ... لمن نضبت صبابته فجفا

وهل يحي الحديث سدى ادكار ... لايام تزيد الجرح نزفا

خلوت اعد من صفحات عمري ... سنى لذاتها حرفا فحرفا

فلم اذكر من الخمسين منها ... سوى خمس تقضت فيك طيفا

ولو كتبت بارضك لي حياة ... رضيت بنصفها وتركت نصفا

فما دنياي بعدك لي بعمر ... ولو عمرت بعد الالف الفا

* * *

تنسك في حنيف هواك قلبي ... فعاف لذائذ الدنيا وعفا

اراني حيث سرت ارى ضبابا ... سدلت به على عيني سجفا

واحيا منك في وطني غريبا ... كاني قد نزلت عليه ضيفا

وهل ابقيت لي في الارض دارا ... احن لها وفي الخلان الفا

كفى بي ان يعود الود كرها ... وتصبح ندوة الاحباب منفى

ذكرتك والشدائد فوق طوقي ... فما استخذيت للايام ضعفا
ولا نددت بالاسقام تترى ... وقد ابقين لي لاراك طرفا
ولو قدرن لي اطفاء عيني ... لظل هواك نورا ليس يطفا
حماني عنك في الادواء داء ... احاول حسمه فيزيد ضعفا
ونازعني هواك فكان اقسى ... علي من الضنى واشد عنفا
خبرت الدهر ايعادا ووعدا ... وطبع الدهر انجازاً وخلفا
فلم أر كاحتمال الوعد رزءا ... لموعود ولا كالمطل حتفا
تطاول في نواك فهاج وجدا ... وماطل في لقاك فزاد خسفا
وطال توجعي لك واحتوتني ... مصائب لا اطيق لهن وصفا
كاني والمنية نصب عيني ... اجاري الدهر اخلاقا وعرفا
فاخلع من ضروب الحزن لونا ... لالبس من شتات الداء صنفا
واذعن للخطوب وقد توالت ... لعل وراءها فرجا ولطفا

* * *

ارح مضناك يا لبنان وارحم ... حليف صبابة بهواك شفا
ثوى في سجن عزلته غريبا ... فما يسطيع غير الشجو عزفا
ولو عاد الزمان به طليقا ... لحوم في رياضك واستدفا
وعانق ارزها قبلا وشما ... وناطف كرمها ضما ورشفا
وشاد له من الزيتون بيتا ... ومن اهدابه عمدا وسقفا

* * *

سقاها الله جنات ظلالا ... ترف بشاشة وتنث عرفا
تناهضها الربى فتتيه زهوا ... ويرهقها الجنى فتميل عطفا
ويغمرها الندى فتشق عنها ... كثيف ضبابه وتعود تخفى
تجر على طويل السفح ردنا ... وتلبس من نقاب الغيم شفا
اذا استذرى بها رضوان ايك ... تهزأ بالجنائن واستخفا
وداعب من نسائمها اريجا ... توسد طيب نفحته واغفى
خمائل ما نعين على شتاء ... تقشفه ولا عاتبن صيفا
ولا هتك الخريف لهن سترا ... ولا مر الربيع بهن خطفا
منشرة على الآكام شتى ... وتلقاها على الحافات صفا
مرفرفة على شلال ماء ... تناوله الصفا ذرا وندفا
كأن الله اطلقها خيالا ... ليجعلها على الشعراء وقفا
نزلت على مشارفها اناجي ... اويقات الشباب وقد تعفى
واحبابا انست بهم عكوفا ... على كاساتهم يحسون صرفا
فمن صادين يحتضنون زقا ... ومن صابين يعتنقون خشفا
ومنتجعين رمانا وكرما ... ابوا الا ثدي التين قطفا
ومفترفين من سلسال نبع ... مضوا عنه وقد جمدوا اكفا
ومستوحين من لبنان شعرا ... ومن اهليه آدابا وظرفا
رعاها الله احلاما تولت ... ولم تترك سوى الآهات خلفا
المت كالخيال بنا وجازت ... وجزنا بعدها لم ندر كيفا
ومن عند الشدائد من ملاذ ... سوى لبنان ان أمعن عسفا
سلمت الدهر يا لبنان طودا ... على الاطواد اشمخهن انفا

بغداد ... حافظ جميل

طبقة الفهماء

بقلم حسن الكرمي
من « العروة الوثقى » في لندن

* * *

يمكن عن صالح بن عبد القدوس انه توفي له ولد صغير ، فحضر اليه ابو الهذيل العلاف ومعه ابراهيم النظام ، فوجده يتلظى حزنا على ولده . فقال له ابو الهذيل : لا أرى لتحرقك وجها ، اذ الناس عندك كالنبات . فقال صالح : يا ابا الهذيل ، انما تحرقي عليه لانه لم يقرأ كتاب الشك . فقال : وما هذا ؟ فقال : كتاب وضعته ، من قراه شك فيما كان حتى كانه لم يكن ، وفيما لم يكن حتى كأنه كان . فقال له ابراهيم النظام : فابن انت على انه لم يمت وان كان قد مات وعلى انه قرأ الكتاب وان لم يكن قراه .

وهذه الحكاية تذكرني بحكاية اخرى من هذا النوع . فقد دخل رجل من الحسانية (وهي فرقة من الرافضة) على المأمون ، وكان ثمامة بن أشرس حاضرا ، فقال له المأمون : كلمه . فقال له ثمامة سائلا : ما تقول وما مذهبك ؟ فقال الحساني : اقول ان الاشياء كلها على التوهم والحسبان ، وانما يدرك الناس منها على قدر عقولهم ، ولا حق في القضية . فقام اليه ثمامة فلطمه . فقال الحساني : يا أمير المؤمنين ، يفعل بي مثل هذا في مجلسك ؟ فقال له ثمامة : وما فعلت بك ؟ قال : لطمتني. قال : ولعلني انما دهنتك بالبان ، ثم انشأ يقول :

ولعل آدم أمنا والاب حوا في الحساب
ولعل ما أبصرت من بيض الطيور هو الغراب
وعساك حين قعدت قمت وحين جئت هو الذهاب
وعسى البنفسج زنبق وعسى البهار هو السذاب
وعساك تاكل من خ .. ك وانت تحسبه كباب

وأقرب شيء لهذه الحكاية والحكاية السابقة ما يقال عن الفيلسوف البريطاني باركلي الذي كان لا يؤمن بوجود الاشياء خارج الذهن ، ويعتبر الذهن هو المصدر لما نشعر به من وجود الاشياء حولنا . فقد جاء باركلي يوما لزيارة صديق له ، فطرق الباب عليه ، فأطل صديقه عليه وقال له : لماذا طرق الباب ؟ ولماذا لا تدخل ، وانت تعلم ان الباب لا وجود له .

وكان الفيلسوف الانكليزي هيوم شكاكا ، وانكر ان يكون في الوجود شيء يقال له علة او اثر ، او ان يكون ارتباط بين العلة والاثر كما هي الحال في الحوادث الطبيعية . فقد كان هيوم يقول انني لو دفعتك من على راس الدرج فانت تتدهور الى الاسفل من نفسك — اي بدون ان يكون لدفعي اياك اي تأثير في هذا التدهور .

ومع ان الفيلسوف الفرنسي ديكارت زعيم الفلسفة الغربية الحديثة هو الذي استعمل الشك للوصول الى قاعدة يمكن ان تبنى عليها فلسفة معقولة ، غير ان الشك في اشد مظاهره قديم جدا ، سبق اليه جماعة الشكاكين في الفلسفة الاغريقية ، بل البوذيون من قبل ، ثم تدرج الى القرون الوسطى والى ديكارت وباسكال وهيوم وغيرهم . ويقال ان الذي اوجد فلسفة الشك في اليونان القديمة الفيلسوف بيرو Pyrrho في القرن الثالث قبل الملاد وكان من الفلاسفة الشكاكين « كورجياس » و « بروتاكورس » والسوفسطائيون . وكان كورجياس يقول : « لا شيء موجود في العالم ، وان وجد شيء فلا قدرة لنا على معرفته ، وان عرفناه فلا نستطيع ان نخبر غيرنا عنه . وكان السوفسطائيون يزدرون الحقيقة حتى انهم كانوا يعلمون الناس لقاء بعض الاجر كيف يثبتون امرا من الامور وينقضونه في الوقت نفسه . فالشكاكون اذن لا يؤمنون في امكان المعرفة ، ولذلك فانهم كانوا يحجمون عن ابداء راي او حكم نهائي . وهذا ادى بهم الى عدم المبالاة . والشكاكون العرب او المسلمون بصورة عامة في اوائل العصور العباسية بصورة خاصة كانوا بالطبع متأثرين بهذه الافكار الاغريقية القديمة ، فنقلوها عنهم واخذوا ينادون بها ، ولو انها كانت تتعارض مع الدين . والغريب في أمر الفلاسفة المسلمين عموما انهم لم يكونوا يتقيدون بالدين الاسلامي على الدوام ، كما كان الفلاسفة اليهود يتقيدون بالدين اليهودي والفلاسفة المسيحيون بالدين المسيحي . ومع ان العصور الوسطى الاسلامية كانت عصور تحرر فكري ، حتى من سلطة الدين في بعض الاحيان ، فان العصور الوسطى المسيحية كانت عصور ايمان خالص ، بحيث ان الايمان كان يعتبر فوق العقل ، وان العقل اذا تعارض مع الدين كان الايمان هو الحكم الفصل ، ولا حكم للعقل ، ومع ذلك فقد اخذ الشك يتسرب الى العقول منذ القرن الحادي عشر . واذا تذكرنا ان النظام الفلسفي الديني في القرون الوسطى في أوروبا كان قائما على الفلسفة الحقيقية Realism التي تقول بوجود الكليات Universals وجودا حقيقيا عرفنا بالاستنتاج ان الشك بدأ يتطرق الى هذه الفلسفة وان الميل اخذ يتجه نحو الفلسفة الاسمية Nominalism المناقضة لها ، وهي الفلسفة التي تقول ان الكليات ليست الا اسماء ولا وجود لها في الحقيقة ، وان الجزئيات او الفرديات هي الموجودة في الحقيقة دون غيرها . واول من قام بالدعوة الى الفلسفة الاسمية وكان له خطره الاسقف روسلينوس Roscelinus في عام ١٠٩٠ . فقد أعلن هذا الاسقف ان الكليات لا وجود لها ولا حقيقة ، وانما هي مجرد اسماء لا غير او من قبيل الوهم . وقال ان الاشياء الحقيقية الوحيدة هي الجزئيات او الفرديات ولذلك فان الابحاث الدينية والعلمية على السواء يجب ان

تقصر انفسها على هذه الجزئيات او الفرديات . ولا نريد هنا ان نفصل البحث في ذلك ، لان الفلسفة الاسمية كانت تهدد فكرة الكنيسة الجامعة وتهدد فكرة الثالوث وفكرة الخطيئة الاولى وغيرها . ويكفي ان نقول ان انتصار الفلسفة الاسمية كان من اعظم حوادث العصر الحديث ، بل هو اعظم من حركة الاصلاح الديني في القرن السادس عشر . فقد قلبت الفلسفة الاسمية عالم القرون الوسطى رأسا على عقب وارجعت الانسان الى الواقع . ولهذه الفلسفة ناحيتان : ناحية ايجابية وهي التشديد على حقيقة الفرديات والجزئيات وعلى ضرورة اعتبار الانسان بمشاعره الخاصة وبمفرده دون اعتبار الفكرة الانسانية العامة والمشاعر او الافكار العامة ، وناحية سلبية وهي انكار حقيقة الكليات والافكار الجامعة والافكار التجريدية. فهي بذلك قريبة من الناحية الايجابية من الفلسفة الحسية او الفلسفة المادية ، وقريبة من الناحية السلبية من الفلسفة العدمية او فلسفة الشك . والذي قوى من عامل الشك فيها الفيلسوف وليم اوكم William Occam الذي يعتبر بحق موجد الفلسفة الاسمية . وقد قرر هذا الفيلسوف ان العلم والايمان شيئان مختلفان ، وان تحكيم العقل في المسائل الدينية قد يناقضها ، ولذلك فان الفضيلة كل الفضيلة في الايمان . وهذا القول شبيه بقول كيركيكور الفيلسوف الدانماركي الذي يعتبر موجد الفلسفة الوجودية . وقد سبق لي ان ذكرت مرارا رأي هذا الفيلسوف في مسألة العقل ومسألة الايمان . واريد قبل ان انقل البحث الى فكرة الشك عند هذا الفيلسوف الدانماركي ان اتعرض بايجاز الى تاريخ الفكر في الغرب على اثر انتصار الفلسفة الاسمية .

ان اول نتائج انتصار الاسمية نزول شيء على العالم الاوروبي يشبه الفسق او النور عند مغيب الشمس او بعده بقليل . فالناس كانوا ، كما قال بعضهم ، كالقارىء في الفسق ، فان الظلام اقوى من نور الشمس المنعكس وان نور الشمس اقوى من ضوء المصباح ، فهو لا يقرأ بهذا ولا بهذا . او بعبارة اخرى ، فان الناس لم يعودوا يستطيعون ان يقرأوا بنور الدين ، ولا بنور العقل ، فالاول قد ضعف والثاني لم يكن قويا الى الحد المطلوب . وهذه حالة تخلق الحيرة وتشل حركة الفكر ، ومن بوادرها نشر التشاؤم في النفوس واشاعة عدم الثقة بالنفس او بكل مجهود يبذل ، سواء كان هذا المجهود فرديا او جماعيا . ومن البوادر ايضا في الدرجة الثانية حدوث التجزؤ الفكري ، بحيث ان فقدان مركز الثقل والجاذبية الذي كان مدارا للافكار وضابطا لها شتت الذهن وشرده في اتجاهات متشعبة ، فكان الاتجاه الفكري يتطوح في مهاويه ويتفلت من المركز بدلا من ان يدور دورته في النطاق او الفلك المعهود منجذبا الى المركز . وعدم وجود الوازع الجامع يشل العزيمة ويفت في الساعد ، وقد يحدث في النفس مرضا نفسانيا يعرف بالخبل الدوري folie circulaire الذي من صفاته الكآبة وجمود النفس والسوداء والقلق . وقد يرافق ذلك ايضا حب المشاكسة ، وتفضيل الاشياء المبتذلة السخيفة .

فانهيار جميع القيم في ذلك العهد في العالم الغربي وتحلل المجتمع وروابطه وضع ادى الى امر من امرين : الامر الاول التسليم للقضاء والقدر او الجبرية ، والامر الثاني عدم التسليم للقضاء والقدر او القدرية . فجماعة دن سكوتس Dun Scotus (١٢٦٥ ـ ١٣٠٨) أستاذ « وليم اوكم » اختاروا الجبرية او التسليم للقضاء والقدر ، وكانوا يخالفون جماعة توما الاكويني اكبر علماء الكلام في القرون الوسطى (١٢٢٥ ـ ١٢٧٤) . فكان القوميون يقولون ان كل شيء معقول هو بارادة الله ، ويرد عليهم جماعة « سكوتس » بقولهم ان كل ما يريده الله هو المعقول ، ويقولون ان من الخطأ القول ان الله فعل الشيء لانه خير ، بل ان الصحيح هو ان الشيء خير لان الله فعله.

هذا من بعض النواحي الدينية . ولكن زاد في البلبلة ظهور جماعة من المفكرين الاحرار في غرب المانيا يعرفون بالبكارديين الجوالين Beghards كانوا يعيشون على التسول او اللصوص او السرقة . وكان مبدأهم الفلسفي انكار القيم الاخلاقية واعتبار الانسان وحده مقياسا لنفسه دون اي شيء آخر . فهم في نظرتهم هذه اقرب ما يكونون الى فلسفة التحلل او الفلسفة العدمية Nihilism . وهم من هذه الناحية العدمية قريبون من فلسفة « سكوتس ». فسكوتس هذا يعتبر الفرد كمية ضئيلة لا تذكر امام قوة الله وعظمته ، والبكارديون ، على العكس من ذلك ، يعتبرون الفرد كل شيء في هذا العالم . وقد يخطر في البال لاول وهلة ان « سكوتس » رجل على جانب عظيم من التدين والايمان والثقة بالعقل الرباني ، وقد يكون هذا صحيحا ، ولكن المهم انه كان عديم الثقة والايمان بالعقل البشري . وهذا من جملة الكثيرين الذين شكوا في مقدرة العقل الانساني على تفهم الامور وحلها بالطرق المثلى .

وقد يكفي هذا العرض لاظهار الحالة التي وقعت فيها اوروبا فكريا بعد انهيار فكرة الكليات وانتصار فكرة الجزئيات . وقد يلاحظ القارىء الكريم شبها بين تلك الحالة والحالة التي سادت العالم الاسلامي او العالم العربي في القرن الاخير او حتى قبل ذلك ببضعة قرون ، لولا ان هذه الحالة لم تكن نتيجة لتفاعل فلسفي داخلي كما جرى في اوروبا ، ولكن نتيجة لعامل خارجي على الاغلب وهو هجوم الغزاة الاجانب على الخلافة العربية او على البلاد العربية ، مما قضى اولا على العامل الجامع بين الشعوب الاسلامية والعربية وادخل الشك في النفوس حول الايمان السابق بقوة الخلافة وبقوة النظام الديني. فزوال العامل الجامع وفقدان الثقة احدثا شللا فكريا وإراديا ، واسلم الناس امرهم الى الحوادث تفعل بهم

ما تشاء . ولعل دور الجمود الذي مرت به اوروبا بعد القرن الحادي عشر شبيه بدور الجمود الذي مرت به البلاد الاسلامية بعد ذلك . والفرق بين الحالتين ان العرب والمسلمين كان لهم الفضل الكبير في انقاذ اوروبا من جمودها بفضل النهضة ، مع ان الغرب خاصة والغزاة الاجانب عامة كان لهم الاثر الكبير في احلال دور الجمود في العالم الاسلامي والعالم العربي ، حتى ان جميع الحركات الوطنية في العالم العربي ، بل وتاريخ العالم العربي بأجمعه في العصرين الاخيرين ، كانت رد فعل للسيطرة الاجنبية .

قلت ان « سكوتس » كان لا يؤمن بالعقل البشري . وقد يعود هذا الشك في سلامة العقل البشري ولا سيما في الحكم على الامور والقضايا الدينية الى قديم الزمان ، وقد بحث في ذلك رجال الكنيسة الاولون امثال تاتيان Tatian الذي كان يسخر من سخافة فلاسفة الاغريق ، وترتوليان Tartullian الذي رفض ان يعنى بالفلسفة على الاطلاق واوغسطين الذي كان يقول « انا اؤمن لأنه سخيف » وحتى لوثر كان يرى ان للفلسفة مجالا غير مجال الدين لان الدين ايمان صرف وكذلك كلفن Calvin الذي كان يقول ان العقل البشري قد فسد بأفساد الخطيئة له ، فهو غير صالح لمعرفة الله ، وانما هو مفسدة لا غير . ولكن الذي أحيا الشك من جديد في مقدرة العقل البشري هو الفيلسوف الدانماركي سورن كيركيكور Soren Kierkegaard في القرن التاسع عشر (١٨١٣ ـ ١٨٥٥) . وكانت حملته في بادىء الامر موجهة ضد غلو « هيكل » الالماني واتباعه في المذهب المثالي الذي يقول ان الاشياء في هذا الوجود هي من خلق العقل او الذهن . وحجته في هذه الحملة ان التجريد الفكري والتنائي عن الواقع في الفلسفة المثالية ينسيان الانسان الحقائق الوجودية . وقد دلل كيركيكور على ذلك بالكلام عن شيء ما كالطاولة مثلا ، فان الصورة الذهنية للطاولة لا تمثل طاولة حقيقية في الوجود ، بل هي صورة تفقد المميزات الخاصة والصفات الحقيقية وتصبح رمزا خياليا لا غير ، ولذلك فان كيركيكور يرى ان هذه الطريقة الذهنية لا تقربنا من الحقيقة بل تبعدنا عنها وتنسينا اننا موجودون من دم ولحم بين اشياء مفردة محسوسة ملموسة . ومن هنا نفر كيركيكور من الفلسفة المثالية ودعا الى فلسفة وجودية . ثم انه لما بحث في الامور الدينية وقابل بين العقل والايمان وجد ان الايمان لا يحتاج الى عقل ، لان الانسان لو استعمل العقل لاستخف اشياء كثيرة ، ولذلك يجب على الانسان ان يتخطى العقل وان يقفز الى الايمان راسا ، وهو اقرب الناس في الراي الى «اوغسطين» حينما قال « انا اؤمن لانه سخيف» . وكان تأثير كيركيكور في ميدانين : الاول الميدان الوجودي والثاني الميدان الديني . وليس الغرض هنا الخوض في الميدان الديني لان هذا ليس من اختصاصنا وانما الغرض هو العودة الى بحثنا الاول في الفلسفة الوجودية . ولكن يجدر بنا ونحن في بحث الشك ان نذكر بأيجاز طرفا من تأثير كيركيكور في التفكير الديني في الغرب . واهم اتباع كيركيكور في هذا الميدان : كارل بارث Barth واميل برنر Brunner ونيبور Niebuhr ونلس فري Ferré وغيرهم . ويتجلى تأثير كيركيكور في المقابلة بين الفلسفة واللاهوت ، بمعنى ان الفلسفة تتجرد عن العواطف والميول والاعتبارات الذاتية وان اللاهوت شيء خاضع لحركات النفس وانفعالاتها الخاصة ، وبين الاسلوب العقلي في التحقيق او البحث الفلسفي وبين الاسلوب الوجودي في اللاهوت . وقد جمع بين الاثنين على ما اعلم باحثان دينيان مشهوران : احدهما بول تيلج Tillich والثاني رودلف بلطمان Bultmann ومن اشد هؤلاء نقمة على العقل البشري وعلى الفلسفة خاصة اميل برنر ، لانه يرى تناقضا واضحا وتنافرا اصليا بين الايمان والفلسفة ، ويقول ان هذه المشكلة لا تزال تشغل افكار علماء اللاهوت البروتستانت منذ الاصلاح الديني . وهي مشكلة تعرض لها علماء الدين المسلمون في أوقات مختلفة ، وكان الفلاسفة هدفا للنقمة والتفكير في العالم الاسلامي شرقا وغربا في القرون الوسطى . وهي من جملة ما تعرض لها او اصيب بها الفيلسوف الاسلامي الغزالي في القرن الحادي عشر الميلادي (١٠٥٨ ـ ١١١١) ؛ كما ذكر في كتابه « المنقذ من الضلال » . فهو ايضا ، كما يظهر ، أصيب كما أصيب كيركيكور بعده بمحنة من التشكك والتردد ، وعاين جميع ابواب المعرفة ودرس الفلسفة ، وتنازعته عوامل الدنيا مرة وعوامل الدين مرة اخرى كما تنازعت كيركيكور ، الى ان أرسى سفينته على مرسى الايمان . وقد يكون من الطريف لو ان احد رجال الفكر والفلسفة من العرب او المسلمين يدرس حياتي هذين الرجلين دراسة فاحصة ويربطهما بالمحيط وبالملابسات الفكرية للعصرين .

وحياة كيركيكور التي دامت اثنتين واربعين سنة لها تأثير كبير في أفكاره وآرائه في الدين وفي الحياة . فقد عاش في طفولته او حداثته عيشة شقية ، تحت سيطرة والد كان شديدا عليه . وولد كيركيكور وكان ابوه في السابعة والخمسين وامه في الخامسة والاربعين ، فجاء ضئيل الجسم ضاويا ضعيف البنية . وقد ورث عن والده خطيئة كبرى سودت حياة الاسرة . وهي ان والده كان يرعى غنما في احد المراعي في الدانيمارك ، فكان يوما مع قطيعه والبرد قارس والوحشة خانقة ، فصعد تلة هناك واخذ يجدف بحق الله لشدة ما عاناه من شقاء العيش . هذه الحادثة القت على جميع افراد الاسرة عبئا ثقيلا من الخطيئة والكفر ، وكان كيركيكور يحمل في نفسه قسطا كبيرا من هذا الحمل . يضاف الى ذلك ان افراد الاسرة كانوا في شقاق ونزاع ، وكان من بين الاقارب عدد اصيب بالجنون . ثم انه لم يوفق في حبه ، واضطر

الى فسخ الخطبة ، فعاش وحيدا في نفسه منصرفا الى تأملاته ، مما زاد من تأففه من محيطه . وكان يشعر بأنه «كصالح في ثمود» وفي مضيعة لا امل فيها . وكتب عن ذلك يقول (ولعله كان يشير الى ما فعله دانتي على غرار المعري في رسالة الغفران) : « اذا جاء شاعري فانه سيخصص لي مكانا بين اولئك الذين عانوا في حياتهم بسبب فكرة لهم : سيقول عني : الشهادة التي اصابت هذا المؤلف هي لانه كان نابغة عاش في بلدة سوق تجارية » . وقد يتطرق الى ذهن من يقرأ كتابات كيركيكور انها كتابات رجل فقد توازنه العقلي او اصيب بالحمى ، فهو يكتب احيانا كتابة هذيانية او كتابة ابعد ما تكون عن الترابط والانسجام . وظلت كتاباته هذه مدة طويلة مهجورة مهملة الى ان ترجمت الى الالمانية اولا وتناولها رجال الفكر بالدرس وعرفوا قيمتها من ناحية الدين ومن ناحية الفلسفة على السواء .

لنــدن

حسن الكرمي

جزيرتا الزبرجد

الدكتور جمال مرسي بدر

الجزائـــــر

انهمـا مـلك يـدي
جزيرتـــا الـزبرجـــد
قصيتان خلف بحر ليس تدريه الظنون
امواجه في صخب يوما ويوما في سكون

تاجاهمـا مـن الشجر
عزا على وهم البشر
يضوع مسكا زهره السحري ذو اللون العجب
وتنثني أغصانه مكللات بالذهب

شطاهمـا بـر الامـان
يرويهمـا نبـــع الحنان
اليهما ريح الهوى ساقت بقايا زورقي
وفيهما سعادتي لاحت كحلم زئبقي

يا درة بيــن المحـار
يكنهـا قـاع البحـار
عمري ان أبذله كي ألقاك ترخص الهبه
أسطورة انت كتلك الجزة المذهّبه

لا .. لست من نسج الخيال
وان بدوت كالمحال
حقيقة أنت كقلب نابض في اضلعي
لئن تنائيت فانــت منذ ان كنت معي

الريـح تملأ الشــراع
وعنــك يسقط القنــاع
الان ادري بعد سعي طال أين بغيتي
فانثني في فرحة الوجدان نحو وجهتي

ان كان يقصيـك السنـاء
فســوف يدنيـك الفـداء
لا بد لي يا درتي ان تمتلي منك يدي
موعد لقيانـا غدا بشاطىء الزبرجد

في احد الايامالقديمةالماضية، حين كنت في التاسعة من عمري ، وكانتالدنيا ملأى بكل ما يمكن تصوره من آيات العظمة والجمال ، والحياة ما تزال حلما لذيذا عجيبا ، جاء ابن عمي مراد ، الذي كان يعتبر مجنونا في مودته لكل من يعرفه ما عداي ، الى منزلي في الساعة الرابعة صباحا ، وايقظني بالدق على نافذة غرفتي ، قائلا : — آرام !

فقفزت من سريري ونظرت خارج النافذة ، فلم استطع ان اصدق ما رايت . لم يكن الصبح قد طلع بعد ، ولكن كان الفصل صيفا ، ومع الفجر الذي بزغ منذ دقائق في زواياالكون كان الضوء يكفي لاتأكد من انني لم اكن ارى حلما . كان ابن عمي مراد على ظهر جواد ابيض جميل ،فاطللت براسي من النافذة وفركت عيني . فقال لي بالارمنية :

— نعم ، انه حصان . انت لست في حلم . فأسرع اذا كنت تحب ان تتنزه على ظهره .

لقد كنت اعرف ان ابن عمي مراد يستمتع بحياته اكثر من اي انسان آخر هبط على الدنيا خطأ . غير ان هذا كان اكثر مما كنت اتصور . في الدرجةالاولى كاناقدمذكرياتيذكريات الخيل ، واول رغباتي كانت الشوق الى ركوب الخيل . هذا كان الجانب الاروع . وفي الدرجة الثانية كنا فقراء ، وهذا الجانب هو الذي كان يحول دون تصديقي لما ارى .

لقد كنا فقراء ، لا نملك شيئا من المال . كل عشيرتنا كانت مصابة بالفقر . وكل فرع من اسرة غاروغلانيان كان يعيش في اسوأ ما في الدنيا من حالات الفقر . ولم يكن احد يدرك من اين كنا نحصل على النقود الكافية لبقائنا احياء ، حتى اقدم شيوخ الاسرة سنا لم يكونوا يعرفون ذلك . ولكن اهم من ذلك كثيرا اننا كنا نشتهر بامانتنا . لقد كنا مشهورين بالامانة منذ نحو احد عشر قرنا ، حتى حين كنا اغنى اسرة في ما كان يطيب لنا ان نظن انه العالم . كانت لنا كبرياؤنا اولا ، وامانتنا ثانيا ، وبعد ذلك كنا نؤمن بالصواب والخطأ . وليس فينا من يمكنان يستغل احدا في الدنيا فيسرق منه شيئا .

لهذا كله ، على الرغم من انني كنت ارى طلعة الحصان الجميلة بعيني ، وعلى الرغم من انني اشم رائحته الحلوة ، وعلى الرغم من انني احس بانفاسه المثيرة ، فانني لم استطع ان اصدق ان للجواد صلة بابن عمي مراد ، او بي ، او بأي عضو آخر من اسرتنا ، وسواء اكنت

صيفية الجواد الابيض الجميل

للكاتب الاميركي وليم سارويان

ترجمها عن الانجليزية :

عيسى الناعوري

●

مستيقظا ام نائما ، فانني اعرف ان ابن عمي مراد لا يمكن ان يقدر على شراء الحصان . فاذا لم يكن قادرا على شرائه فلا بد ان يكون قد سرقه . وقد رفضت ان اصدق انه سرقه ، فليس في اسرة غاروغلانيان من يمكن ان يكون لصا . فنظرت اولا الى ابن عمي ثم الى الحصان . كان يبدو على كل منهما المرح وخشوع الصمت ، وقد سرني هذا من جهة ، وارعبني من جهة اخرى .

قصة

فقلت : مراد ، من اين سرقت الحصان ؟

فقال : اخرج من النافذة اذا كنت ترغب في نزهة على ظهره .

كان صحيحا اذن انه قد سرق الجواد . لا مجال للشك في هذا ، وقد جاء يدعوني لاركب معه اولا كما اريد . وطاب لي ان اتخيل ان سرقة جواد لاجل نزهة ليس شبيها بسرقة اي شيء آخر ، كالمال مثلا . ونتيجة لما اعرفه قد لا تكون هذه سرقة على الاطلاق . فاذا كان المرء مجنونا بحب الخيل ، مثل ابن عمي مراد ومثلي ، فليس في الامر شيء من السرقة ، ولا يمكن انيصبح سرقة الا اذا اردنا ان نبيع الحصان ، وهذا ما انا واثق من انه لن يقع ابدا .

فقلت : دعني ارتدي بعض ثيابي.

فقال : حسنا ، ولكن اسرع .

فارتديت ثيابي ، وقفزت من النافذة الى الحوش ، ثم ركبت الحصان خلف ابن عمي مراد .

في ذلك العام كنا نقيم في طرف المدينة ، في « شارع وولنت » . ومن خلف بيتنا يترامى الريف — كروم ، وبساتين ، وقنوات للري ، وطرق ريفية . وفي اقل من ثلاث دقائق كنا في شارع «اوليف» ، ثم اخذ الجواد يجري خببا . كانالهواء رطبا لطيفا يحلو تنفسه . وكان شعوري بركض الحصان رائعا . واخذ ابن عمي مراد ، وهو معروف بانه اكثر اعضاء الاسرة هوسا ،يغني، اعني انه جعل يجعجع .

ان في كل اسرة خطا نابيا مهووسا في مكان ما منها ، وكان ابن عمي مراد معروفا بانه السليل الطبيعي لذلك الخط المهووس في عشيرتنا . ومن قبله كان كذلك عمنا كوزروف ، وهو رجل ضخم الجثة ، ذو راس كبير قوي يجلله الشعر الاسود ، وله اضخم شاربين في منطقة « سان جواكين فالي » . وكان رجلا حاد الطبع ، سريع الغضب ، قليلالصبر، اذا سمع احدا يتكلم بادر الى اسكاته

مجعجعا : « ليس في هذا من ضرر ، لا تبال بذلك » . ذلك كان جوابه مهما يكن الكلام الذي يقوله الاخر .

حدث مرة ان ابنه (آراك) قد ركض على مدى ثماني عمارات حتى وصل الى دكان الحلاق الذي كان والده يشذب فيه شاربيه ، ليخبره ان النار تشتعل في منزله . فاعتدل كوزروف في جلسته على الكرسي وصاح به مجعجعا : « ليس في هذا ضير ، لا تأبه له ». فقال الحلاق : «ولكن الصبي يقول ان بيتك يحترق». فعاد كوزروف يجعجع : « كفى ! اقول لك انه ليس في هذا ضير ».

وكان ابن عمي مراد يعتبر السليل الطبيعي لهذا الرجل ، مع ان والد مراد هو (زوراب) الذي كان رجلا عمليا ، ولا شيء غير ذلك . ذلك كان الوضع في عشيرتنا ، فقد يكون الرجل والدا لجسد ابنه ، ولكن هذا لا يعني انه كان والد روحه كذلك . ولقد كان توزيع مختلف انواع الروح في اسرتنا غريبا منذ البداية وغير ثابت .

كنا راكبين معا على الحصان ، وكان ابن عمي مراد يغني . وكنا ما نزال في البلد القديم الذي كنا ، على الاقل بحسب راي الجيران ، ننتمي اليه . وتركنا الجواد يركض كما طاب له الركض .

واخيرا قال ابن عمي مراد : انزل ، اريد ان اركب وحدي .

فقلت له : هل ستدعني انا ايضا اركب وحدي ؟

فقال ابن عمي : هذا من شأن الحصان نفسه . انزل .

فقلت : الحصان سيدعني اركبه .

فقال : سنرى . لا تنس ان لي طريقة خاصة مع الخيل .

فقلت : حسنا ، مهما يكن لك من طريقة مع الخيل فلي مثلها .

فقال : دعنا نرجو ذلك لاجل سلامتك . انزل .

فقلت : حسنا ، ولكن تذكر ، ان عليك ان تحاول ان تدعني اركب وحدي .

ثم نزلت ، فلكز ابن عمي مراد خاصرتي الحصان بعقبيه وصاح به : « اركض يا وزير » فوقف الحصان على ساقيه الخلفيتين ، وانطلق يركض بعزم وسرعة وركضا كان احب ما رايت في حياتي . وجرى ابن عمي مراد بالجواد عبر حقل من العشب الجاف الى قناة للري ، ثم اجتاز القناة ، وبعد خمس دقائق عاد مبتلا بالعرق .

كانت الشمس قد اخذت تطلع .

فقلت : الان جاء دوري للركوب .

ونزل ابن عمي مراد عن الحصان وقال : اركب .

فعلوت صهوة الجواد ، واذ ذاك عرفت للحظة قصيرة اقصى ما يمكن تصوره من الخوف . ولم يتحرك الحصان . فقال ابن عمي مراد : الكزه في عضلاته ، ماذا تنتظر ،علينا ان نعود به قبل ان يرانا احد في الوجود .

فلكزت الحصان في عضلاته . ولكن الحصان حرن ونخر ، ثم جعل يركض . فلم ادر ماذا اصنع . وبدلا من ان يجري الحصان عبر الحقل الى قناة الري ، نزل يجري الى كرم ديكران هالابيان حيث شرع يقفز فوق الدوالي . ولقد قفز فوق سبع دوال قبل ان اسقط عن ظهره ، ثم استمر يجري وحده .

فجعل ابن عمي مراد يجري نازلا الى الطريق ويصيح : انا لست مكترثا لك ، ولكن علينا ان نمسك بالحصان . اذهب انت في هذه الطريق وسأذهب انا في هذه الاخرى ، فاذا وصلت اليه فأمسكه بلطف ، سأكون قريبا منك .

فمضيت في وسط الطريق ، ومضى ابن عمي مراد عبر الحقل نحو قناة الري . وقد استغرق الامر نصف ساعة حتى استطاع ان يجد الحصان ويعود به .

ثم قال : هيا اركب . لقد استيقظ العالم كله الان .

فقلت : وماذا سنفعل ؟

فقال : اما ان نعيده الى صاحبه ، واما ان نخبئه الى صباح الغد .

ولم يبد عليه الاكتراث . فعلمت انه سيخفيه ، بدلا من ان يعيده ، على الاقل سيخفيه مدة ما .

فقلت : اين ستخفيه ؟

فقال : انني اعرف مكانا .

فقلت : منذ متى سرقت هذا الحصان ؟

لقد ظهر لي فجأة انه كان منذ مدة قد اعتاد ان يقوم بهذه النزهات الصباحية على ظهر الجواد ، وانه قد جاء به هذا الصباح لانه يعلم كم اتوق الى ركوب الخيل .

واجاب هو : من الذي ذكر شيئا عن سرقة حصان ؟

فقلت : على كل حال ، منذ متى بدات تركبه كل صباح ؟

فقال : لم اركبه قبل هذا الصباح .

فقلت : هل هذا الذي تقوله هو الحقيقة ؟

فقال : طبعا لا ، ولكن اذا اكتشف امرنا فهذا ما يجب ان تقوله انت ايضا . لا اريد ان نكون معا كاذبين . كل ما تعرفه هو اننا بدانا نركب هذا الصباح فقط .

فقلت : حسنا .

فسار بالجواد سيرا هادئا الى مستودع في كرم مهجور يبدو انه كان في زمن ما مفخرة لزارع اسمه (فتفاجان) . وكان في المستودع بعض الشوفان والبرسيم .

ومضينا عائدين الى البيت ، وقال : لم يكن من السهل ان نجعل الحصان يتصرف بهذا الشكل اللطيف . لقد كان في البداية يريد ان يجري دون رادع ، ولكنني ، كما قلت لك ، املك طريقة خاصة مع الخيل ، وبوسعي ان ادعه يفعل كل ما اريد انا ان يفعل . ان الجياد تفهمني .

فقلت : وكيف تفعل ؟

فقال : لدي طريقة للتفاهم مع الخيل .

فقلت : حسنا ، ولكن ما نوع طريقة التفاهم هذه ؟

فقال : طريقة بسيطة وشريفة .

فقلت : حسنا ، اود ان اعرف كيف اتوصل الى تفاهم مثل هذا مع الخيل .

فقال : انك ما تزال ولدا صغيرا ، ومتى بلغت الثالثة عشرة فستعرف ذلك وذهبت الى البيت وتناولت فطوري بملء الشهية .

وبعد ظهر ذلك اليوم جاء عمي كوزروف الى بيتنا لشرب القهوة والتدخين . وجلس في الصالون يرتشف القهوة ، ويدخن ، ويتذكر البلد القديم . ثم وصل زائر اخر اسمه جون بايرو ، وهو اشوري تعلم الارمنية بفعل العزلة والوحدة . وقدمت امي للزائر المتوحد القهوة والسجائر ، فلف لنفسه سيجارة ، وراح يشرب القهوة ويدخن ،واخيرا قال متنهدا : ان حصاني الابيض الذي سرق في الشهر الماضي لا يزال مختفيا . انني لا استطيع أن افهم هـذا .

فغضب عمي كوزروف كثيرا وصاح به : ليس في هذا ما يضير ! ما قيمة ضياع الحصان ؟ الم نخسر كلنا وطننا ؟ فلماذا البكاء على الحصان ؟

فقال جون بايرو : قد يكون هـذا صحيحا بالنسبة اليك ، لكونك تقيم في المدينة ، ولكن ما قولك في عربتي ؟ ما فائدة العربة دون حصان يجرها ؟

فقال عمي كوزروف مجعجعا : لا تأبه لذلك !

فقال جون بايرو : لقد سرت عشرة اميال على قدمي حتى وصلت الى هنا.

فصاح به عمي كوزروف : ان لك ساقين .

فقال الفلاح : ولكن ساقي اليمنى تؤلمني .

فقال عمي كوزروف مجعجعا : لا تأبه لذلك !

فقال الفلاح : لقد كلفني ذلك الحصان ستين دولارا .

فقال عمي كوزروف : انني ابصق على المال .

ثم نهض وغادر المنزل وصفق الباب خلفه بعنف .

فقالت امي موضحة اسباب تصرفه: ان له قلبا رقيقا ، وهو بكل بساطة يعاني الحنين الى الوطن في شيخوخته .

ثم انصرف الفلاح ، فهرعت الى بيت ابن عمي مراد .

كان جالسا تحت شجرة دراق يحاول أن يعالج جناحا مكسورا لعصفور لا يستطيع ان يطير .وكان يخاطب العصفور .

فقال لي : ماذا لديك ؟

فقلت : الفلاح ، جون بايرو .لقد زار بيتنا ، وهو يريد حصانه . ثم اضفت : لقد استوليت عليه منذشهر، وانا اريد منكأن تعدني بان لا ترده اليه قبل ان اتعلم الركوب جيدا .

فقال ابن عمي مراد : ستحتاج الى سنة لكي تحسن الركوب .

فقلت : في وسعنا ان نحتفظ بالحصان مدة سنة .

فقفز ابن عمي مراد واقفا ، وقال مجعجعا : ماذا ؟ اتراك تدعو احد افراد اسرة غاروغلانيان الى السرقة؟ ان الحصان يجب ان يعود الى صاحبه

فقلت : متى ؟

فقال: خلال ستة اشهر على الاقل.

ثم قذف بالعصفور الى الهواء . فحاول العصفور بصعوبة أن يطير ، وبعد أن سقط مرتين ، استطاع اخيرا ان يطير عاليا ويمضي بعيدا .

لبثنا مدة اسبوعين نمضي في الصباح الباكر ، انا وابن عمي مراد، فنخرج الجواد من مخبئهفي مستودع الكرم المهجور ونركبه ، وفي كل صباح كان الجواد،عندما يأتي دوريلركوبه وحدي ، يقفز فوق الدواليوالاشجار الصغيرة ، فيقذف بي الى الارض ، ويمضي يجري وحده بعيدا . ومع ذلك فقد ظللت آمل ان اتعلم الركوب كما يركب ابن عمي مراد مع مضي الايام .

في صباح احد الايام كنا في طريقنا الى كرم (فتفاجان)المهجور، فاذا بنا نلتقي بالفلاح جون بايرو ، وكان هذا في طريقه الى المدينة .

فقال ابن عمي مراد : دعني اتحدث انا معه ، فان لي طريقة خاصة مع الفلاحين .

ثم قال ابن عمي مراد للفلاح :صباح الخير يا جون بايرو .

فجعل الفلاح يتفحص الحصان تفحصا لهيفا ، وقال : صباح النور يا ولدي صديقي.ما اسم حصانكما ؟

فقال ابن عمي مراد باللغةالارمنية: اسمه (قلبي) .

فقال جون بايرو : اسم حلو لحصان جميل . انني اكاد اقسم انه الحصان الذي سرق مني منذ عدة اسابيع . هل أستطيع ان انظر في داخل فمه ؟

فقال مراد : طبعا .

فنظر الفلاح داخل فم الحصان ، وقال : الاسنان عينها . ثم اضاف قائلا : لولا انني اعرف ذويكما لاقسمت انه حصاني ، ان شهرة اسرتكما بالامانة والشرف معروفة لدي ، غير ان الحصان هو توام حصاني . ان اي انسان متشكك ليصدق عينيه بدلا من قلبه . طاب يومكما يا صديقي الصغيرين .

فقال ابن عمي مراد : طاب يومك يا جون بايرو .

وفي فجر اليوم التالي اخذنا الحصان الى كرم جون بايرو ووضعناه في المستودع . فأخذت الكلاب تدور حولنا ولكن دون ان يسمع لها صوت.

فهمست قائلا لابن عمي مراد : لقد ظننت ان الكلاب ستنبح .

فقال : انها تنبح على اي انسان سواي ، اما انا فلي طريقة خاصة مع الكلاب .

فطوق ابن عمي مراد الحصان بذراعيه ، ثم الصق انفه بانف الحصان ، وربت عليه ، ثم انصرفنا.

بعد ظهر ذلكاليوم جاء جون بايرو الى بيتنا بعربته ، وارى امي الجواد الذي كان مسروقا . ثم عاد وقال لها : لست ادري ماذا افكر . ان الجواد اقوى مما كان من قبل ، وقد تحسنت طباعه كذلك ، فالحمد لله!

وكان عمي كوزروف جالسا في الصالون . فاستشاط غضبا وصاح به : اسكت يا رجل ، اسكت ! لقد عاد اليك حصانك ، فلا تبال بذلك !

عمان　　**عيسى الناعودي**

الى رفيق ريفي

•

فؤاد الخشن

•

الى احمد ابو سعد الذي كتب لي مرة الى «فنزويلا» يقول :

ايها الاخ الحبيب ، كلا ما نسيتك ، فانت في خلج الفؤاد ورفيف العين ، لا تمر لحظة من غير ان اذكر لياليك ... سقيا لايامك ... ولكنها الحياة في هذه المدينة ... وحشية الحياة واستعداد الحاجة التي تلح علي بالانصراف عن كل ما لا يقتلها ، يمسكان علي الخناق ويحبسان في النفس ، اود لو انجو من حياتي ، واهرب من واقعي الى حيث احيا في عزلة تردني الى البساطة في العيش والصفاء في الفكر ، فارجع طفلا ، طفلا غريرا لعوبا يشرد في الحقول ، يركض وراء الفراشات ويسرق اعشاش العصافير ، يركب على النورج ، ويسهر على التبنات في ضوء القمر مع البنات البريئات ، على بيادر الضيعة ، الضيعة التي حرمتني المدينة من العودة اليها ..لعن الله المدينة !

وسقيا لايام الكروم ومواسم الحصاد وصلي الدبق والفيقة على وعي الشمس كانها تظهر لاول مرة من فوق تلال ضيعتنا فتلوح «الفنبات» وتشرب قطرات الندى من خدود العناقيد ..

سقيا لأيامك يا رفيقي ، ذكرتك امس في موسم بهيج من مواسم العام المدرسي ، موسم الامتحانات ، اتذكر ؟..يتطلع الي الرفاق فيجدونني كئيبا.اين فؤاد؟وتتقطع نفسي حسرات وترجف شفتاي !

لماذا لا اجيب ؟ اخشى ان اقول «فؤاد» ليس هنا ... فاشيح بوجهي .. «فؤاد» ليس غائبا .. «فؤاد» موجود !.. انه البسمات الضاحكة في الشفاه والبريق المشتعل في العيون والنغم الساحر المنساب في صدور العاشقين وقلوب العاشقات ، «فؤاد» ليس غائبا..«فؤاد» كل هذه الجمالات.

يا عزيزي : اغفر لي بحق عينيك هذا الانقطاع عنك ... انه صاحبك الكسول ، اله الكسالى في ربوع هذا الشرق.

احمد ابو سعد

يا رفيقي في دروب الريف ، هذي المدنيه
حرمتنا عيشة الريف الهنيه
وحنان الارض ، ام الكادحين المتعبين
سرقت منا السعاده
ومدى في الذات ما اغنى رؤاه وامتداده
نحن مذ جئنا الى هذي المدينه
لم نعد ننعم يوما بالسكينه
بصفاء النفس ... بالصحو المذاب
في كؤوس الزنبق المهتز في تلك الهضاب
ونجوم شعشعت في لوزة او ياسمينه !
لم نعد نتعب في الغرس ، وفي قطف الجنى
هربت من عمرنا احلى المنى !
كل شيء ههنا سهل المنال !
سره جاه والقاب ومال
ويزول الرصد الوهمي ، ينهار المثال
ويعرى زيف كان لكل الناس يذرى ويقال !
يا رفيقي ، اين في ضيعتك الليل وسهرات البيادر
اين ضوء القمر الذائب في ليل السرائر
والمشاوير الى الكرم ... وآلاف الحكايا
والعناقيد الشفيفات وهمسات الصبايا ؟
اين في ارض « الشويفات » خميلات « الغدير »
والعصافير ... ورفات العبير
اين في صحرائها ، «كرم العروس »
حيثما تورق بالآمال والحب النفوس
كلها غابت وراء الليل صارت ذكريات
يا رفيقي يا رفيق الخطرات
والقلوب المائجات
بامان جملت بالامس آفاق الحياة
خمدت فيها جمار الشوق .. احلى الرغبات ؟
يا صديقي ، ان هذي المدنيه
حددت توق النفوس الشاعريه
اطفات كل قناديل الامل
لم تدع في الخاطر الرحب لمجهول حنين
واشتياقا لاكتشاف او سفر
شوهت حتى القمر
جردته من غلالات من السحر شفيفه
من نقاب السر ، من تاج الجمال
فغدا قبح ثقوب وبراكين مخيفه
بعدما كان لاهل الشعر ينبوع الغزل !
ومجال
لافتراضات التمني والخيال !
يا رفيقي في الدروب الهادئات
آه لو نرفض هذي المدنيه
آه لو نهرب منها
آه لو نرحل عنها
لجنان تلتقي فيها نفوس البسطاء الطيبين
نحن يا صاح على هذي المدينه
دخلاء
نحن عما تنسج الظلمة فيها
غرباء !



محمد رجب البيومي

نشأة وظلالها : محمد توفيق البكري

بقلم محمد رجب البيومي

ترجم السيد محمد توفيق البكري لنفسه في فصل من كتاب بيت الصديق ، فذكر انه ولد في فجر ليلة الجمعة ٢٧ من جمادي الثانية سنة ١٢٨٧ هـ الموافقة سنة ١٨٧٥ م ، بمنزل والده المطل على النيل ازاء جزيرة الروضة وأنه قرأ القرآن الكريم ومبادىء العربية في بيته ، ثم دخل المدرسة العلية التي انشأها الخديوي توفيق باشا لانجاله والحق بها أبناء الكبار من رجال الامة فقرأ التلميذ بها طائفة صالحة من العلوم النقلية والعقلية وكان ترتيبه الاول ، وفي سنة ١٨٨٥ أوصدت المدرسة أبوابها وسافر اولاد الخديوي الى أوروبا للتعليم في معاهدها ، فعكف السيد بمنزله على اتمام ما بدأ به من العلوم على مهرة الاساتذة ، وفي سنة ١٨٨٩ تقدم لامتحان البكالوريا بنظارة المعارف فجاز الامتحان بتفوق اذ كان ترتيبه الاول ايضا ، ثم تقدم لشيخ الازهر العلامة الانبابي ليختبره بنفسه فيما يقرأ بالازهر من العلوم فامتحنه واجازه ، وفي سنة ١٨٩٢ توفي أخوه السيد عبد الباقي البكري فولى وظائفه جميعها وهي (المشيخة البكرية ومشيخة المشايخ الصوفية ونقابة الاشراف) .

هذه سطور معدودة اوجزناها دون اخلال في النقل من كلام الرجل عن حياته الاولى منذ ولد حتى أصبح شيخ المشايخ ، فاذا اردنا ان نتدبر ما تتضمنه على قلته ، أفصحت لنا عن الشيء الكثير ، فالسيد قد ولد بمنزل ابيه المطل على النيل بجزيرة الروضة ، ونحن نعرف ان والده علي البكري قد انتقل الى جوار ربه سنة ١٢٩٧ هـ فيكون ابنه قد أنس برعايته عشر سنوات ، واذا كان الوالد السيد علي البكري ممن رزقوا الحظوة البالغة - كما المعنا الى ذلك من قبل - في الدولة لدى الرؤساء وصاحب الامر ، حتى كان مشايخ الازهر - وفيهم أساتذته - يصدرون عن أمره ، وحتى ان شيخ الازهر وهو استاذه قد تسنم منصبه بمشورته ! واذاكانت الاحتفالات الدينية حينئذ هي وحدها التي كانت تقام في مصر حيث لم تظهر بعد أعياد وطنية ، ولم تعرف الاجتماعات السياسية المنبعثة عن الرأي العام فان هذه المواسم الكبرى لم تكن لتاخذ بهاءها الرسمي والشعبي الا اذا أشرف عليها شيخ المشايخ فنصب سرادقه الكبير ولبس كسوته التشريفية وتتوج بعمامته المطرزة ، ثم تصدر المحفل الكبير ، ليفد الى سرادقه الخديوي ووزراؤه وأصحاب الكلمة في أمور البلاد ! فاذا حضر ولي الامر جلس جوار شيخ المشايخ والتمس نفحاته وساله الدعوات ، حتى اذا انتهى الاحتفال وذهب السيد علي البكري لشكر الخديوي دخل عابدين من الباب الخاص باعضاء الاسرة المالكة تكريما له وتبجيلا ، وهي ميزة لم تكن تتاح لرئيس النظار ، اذا عرفنا ذلك لمسنا مكانة شيخ المشايخ ورأينا أي منزلة يحل؟ وقد رأى الخديوي اسماعيل ان يستعين بجاهه حين تأزم الموقف بينه وبين وزارته ، فأوعز اليه ان يعقد اجتماعا في منزله يدعو فيه اعضاء مجلس شورى النواب لمناقشة موقف الوزيرين الاوروبيين ، وما كان من استبدادهما بالامر دون سائر الوزراء وتجاهلهما رغبات مجلس الشورى حتى اصبحا يمثلان سلطة دكتاتورية لا تخضع لاحد ! وزادا فصمما على فض المجلس وانهاء دورته ! وكان السيد البكري عند ظن صاحبه فعقد الاجتماع الكبير بداره ، وترك للنقاش حريته الواسعة حتى لقبته الجرائد بشيخ الامة ، وأطلقت على الحاضرين اسم الجمعية الوطنية ، وقد اسفر هذا الاجتماع وما تلاه بدار اسماعيل راغب باشا عن اصدار لائحة وطنية قبلها الخديوي على الفور واستدعى وكلاء الدول ليخبرهم بنزوله الصريح على رغبات الامة ، وذلك بمشهد الزعماء الوطنيين وفي مقدمتهم السيد علي البكري وعبد السلام المويلحي وشريف باشا وراتب باشا وراغب باشا (١) ، ثم تطورت الحوادث بعد ذلك على النحو المعروف !

لقد كان الوالد الكبير ذا جاه بعيد دون شك ، وقد نشأ طفله بين أحضانه فأحس بالنعمة والعزة مذ طفولته ، فمنزل ابيه لا يخلو من طوائف الزائرين يقبلون يد الشيخ ، ويلحظونه بنظرات الاكبار والحب ويعدون رضاه ذخيرة غالية وأمنية عزيزة ، حتى اذا بلغ الطفل سن التعليم ذهب الى مدرسة الانجال ليجلس مع ولي العهد جنبا الى جنب ، وليرى الاساتذة يخصون تلاميذهم بعناية خاصة ، يجهدون ما يجهدون ليذللوا كل صعب ، فيجعلوا حصص الدراسة بعيدة عن السأم والارهاق !! حتى اذا أوصدت المدرسة ابوابها ، مكث التلميذ في بيته ليفد اليه كبار الاساتذة فيعلموه مختلف المواد وحده دون شريك !

مات الوالد وتوفيق طفل في العاشرة من عمره ! ولكن ذكرياته عن أبيه كانت تملأ خاطره ، فهو يتمثل جاهه ومهابته ، ويتذكر حنانه ورقته ، وما زال يحس في أعماقه ان بعينيه قطرات حارة تحاول ان تنسكب حزنا عليه ، ثم اراد ان يريح نفسه باسقاطها ، فنظم بعد ان جاوز العشرين قصيدته الحارة في رثائه :

سقت رحمة الله الفريح وما ضما   وروت به هاما وروت به عظما

يعز على العلياء ان يسكن الندى   ترابا وان نلقى به الحسب الفخما

وأقول بعد ان جاوز العشرين لان المرثية في نسجها القوي وأسرها المتين ، لا تتاح لشاعر في العاشرة او ما بعدها بقليل بل لا بد ان تصدر عن شاعر تعود النظم واستقاد له الاسلوب ولن يكون ذلك في زمان السيد وبيئته قبل العشرين ، وليس من همنا الان ان نحكم على القصيدة ولكنا نصور شعور الابن نحو أبيه ، وكيف ظل الراحل يعيش في أطوائه ، حتى استطاع ان ينفس من صدره بعد حين ! على ان النجل الوفي كان في ترجمته لابيه أعقل من ان يتورط في ذكر ما لا يقبل ، فلم ينقل عن علي مبارك مثلا ما ذكره في الجزء الثالث من الخطط التوفيقية من ان السيد علي البكري قد ظهر في قدمه أثر اللدغة المتوارثة على التتابع في بني الصديق ، حيث لا يموت احدهم الا اذا ظهرت في باطن رجله اثار اللدغة الثعبانية التي تحملها ابو بكر في الغار بصبر وشجاعة ! ولا أدري كيف يحشد علي مبارك أمثال هذه الغرائب في خططه ، وهو يعلم مبلغها من الزيف ! ولعل السيد توفيق خاف على نفسه الا تظهر اثر اللدغة بقدمه حين ارتحاله قريبا او بعيدا ، فلم يسجل هذه الخارقة النادرة في آل الصديق ...

وقد أدهشني ان يغفل السيد توفيق اسماء اساتذته في ترجمته لنفسه ، مع انه ذكر اساتذة والده ! واكتفى بالقول عن دراسته المنزلية

باته درس العلوم والاداب على مهرة الاساتذة ! ان تعليل ذلك فيما أرى واضح ، فالسيد حين اصبح شيخ المشايخ في الثانية والعشرين ، وحين حمل اعظم الاوسمة واسمى الرتب ، وجد نفسه المقدم ترتيبا في الحفلات الرسمية حتى على شيخ الازهر نفسه ومن يليه من كبار العلماء !! فأساتذته من اللغويين والادباء في رأيه الخاص لا يبلغون مبلغه ، وكأنه وجد حرجا ما في ذكر اسمائهم ! فاغفلهم عن قصد وهذا ما نخالفه ولا نراه فالتلميذ مهما عظم ثمرة أستاذه ، فاذا كان قد ترجم لنفسه فعليه ان يسجل اسماء اساتذته وهم بعد من كبار المشاهير دون نظر الى اي اعتبار ..!

أذكر بهذه المناسبة نادرة طريفة حدثني بها فضيلة الشيخ احمد شفيع السيد ، وكان صديقا للمغفور له الشيخ عبد العزيز البشري ، فساله ذات مرة كيف يتقدم شاب كالسيد توفيق البكري في شتى المناسبات الرسمية على والدك شيخ الازهر استاذنا الاكبر الشيخ سليم البشري ، وهو في سنه وعلمه ووقاره ومنصبه أحرى بالتقديم ، فسكت الاستاذ عبد العزيز قليلا ثم لجا الى الفكاهة كعادته فقال ان العيب في ذلك كله يرجع الى ابن مالك النحوي لانه قال في الالفية :

ونحو بشر تابع البكري وليس ان يبدل بالمرضي !

فجعل البشري تابع البكري ولو عكس الامر لتقدم ابي ، وابن مالك في كلام الشيخ عبد العزيز هو مرسوم السلطان بالوزارة العلمية للسيد توفيق ، فقد منحه التقديم على سائر العلماء بمصر في كل احتفال .. وقد كان احساس السيد بمنزلته الرسمية قويا عنيفا ، حتى أوقعه في خصومات كبيرة سنعرض لها بعد ، ودعاه ـ في بعض ما دعاه ـ الى اغفال ذكر الاساتذة والمدرسين ..

ومن السهل ان نسكت عمن لقنوه مبادىء الدراسة في المواد المختلفة ، قبل مدرسة الانجال وبعدها ، اذ ليسوا من الجهارة بحيث يتسع لهم الحديث ، وعملهم بعد لا يتجاوز عمل مدرسي المرحلة الابتدائية والثانوية ولكن من الواجب ان نتحدث عن اساتذته الكبار في اللغة والادب وقد تم على أيديهم بناؤه الذهني ، وتحددت بجهودهم وجهته الفنية ، واظهر من نعلم من هؤلاء الاساتذة ثلاثة اماثل هم الشيخ محمد محمود الشنقيطي والشيخ احمد مفتاح والشيخ حمزة فتح الله ! وثلاثتهم يلتقون في الكلف باللغة ، وتتبع شواردها ، والحرص على سلامة مفرداتها نطقا واعرابا ، ولكل بعد ذلك وجهته الخاصة في مجال التفرد والسموق .

فالحافظ اللغوي الحجة المحدث الشيخ محمد محمود الشنقيطي كان املأ رجال عصره باللغة وقد عرف له الاستاذ الامام محمد عبده قدره فاجرى عليه الرزق من الاوقاف ، وعهد اليه احياء الكتب الادبية واللغوية فصحح القاموس ، ونشر المخصص ، وراجع اكثر المخطوطات في العربية ، وكان حريصا كل الحرص على سلامة الضبط ودقة الرواية ، أما تفسير الغريب فادنى مراتبه لانه يرى المعاجم تتكفل به للناشئة ، فاذا سئل عنه تدفق كالغيث الهامر ، وقد بلغ من ولوعه بضبط الكلمات صرفا واعرابا انه كان يعد الخطأ في ضبط الحروف كذبا خلقيا يجب الاحتراز عنه ، فقد حدثنا المرحوم الاستاذ عبد الوهاب خلاف انه سمع شاعر النيل حافظ ابراهيم في مجلس الشنقيطي يقرأ بيتا من الشعر ، وقد كسر عين مضارع كان يجب ان تفتح ؟ فصاح به الشنقيطي كذبت واستغفر الله ، فسأل الشاعر عن موضع الكذب فصحح له الشيخ عين الفعل فقال حافظ متعجبا اخطأت أم كذبت فقال الشيخ الخطأ في العربية كذب على اهلها ...

وقد تعهد الشنقيطي تلميذه البكري أمدا غير بعيد فحفظه اراجيز العرب ، وأورثه الولوع الحاد بالغريب ، وأقرأه امهات الكتب الادبية الى ان دبت الجفوة بينهما ، وقيل ان من اسبابها ادعاء السيد كتاب الاراجيز لنفسه ، وهو من وضع الشنقيطي ، وقيل في بعض اسبابها الاخرى ما يرجع الى اخلاق السيد بالنقيصة وهي امور تساق رجما بالغيب . دون ان تحقق ، والسكوت عنها افضل ، وحين ترجم السيد توفيق لابن أخيه السيد عبد الحميد البكري ـ في بيت الصديق ـ ذكر الشيخ محمد محمود الشنقيطي والشيخ حسن السقا من اساتذته ! ومعنى ذلك ان تردد الشنقيطي على دار البكري قد طال وامتد وانه شارك ابن اخيه في التلقي عن الشيخ ، اذ أنه قد سبق السيد عبد الحميد الى الحياة بخمس سنوات فقط ! وحديث الشنقيطي في اللغة مما يفيد المبتدىء والدارس بل مما يفيد كبار العلماء ! فاذا راى دارسو ادب البكري ولوعا بالاغراب وهياما بالمهجور المجفو ! فللشيخ الشنقيطي نصيبه الكبير في ذلك وان شاركه منحاه الشيخ حمزة فتح الله ، واذا كان السيد توفيق قد أعلن في ترجمته الذاتية انه تخصص في الادب دون غيره ، فان استفادته من الشنقيطي كحافظ من كبار رواة الحديث لم تتهيأ له في شيء ! وما كان احراه بالحرص عليها وهو يعد نفسه لمشيخة دينية كبرى يزين صاحبها رواية الحديث عن ثقاته المبرزين !

اما الشيخ احمد مفتاح ، فقد قال العلامة الجليل احمد تيمور في ترجمته (٢) « واشتغل ـ مفتاح ـ بعد خروجه من المدرسة (دار العلوم) بالكتابة في صحف الاخبار كالاعلام والقاهرة ، وبالتدريس لبعض اناس منهم السيد توفيق البكري ، ولما اتصل به حسن له خلع العمامة والجبة وابدالهما بالملابس الافرنجية والطربوش » !! وهذه العبارة تدل على سيطرة التلميذ على أستاذه فقد استطاع ان يغير زيه من معمم الى مطربش ، وكأنه رئيس يامر فيطاع ! وقد استمر ذلك حتى اختير مدرسا للانشاء بدار العلوم فرجع مفتاح الى العمامة من جديد ! واذا كان من المعروف عن الاستاذ تبحره في اللغة والادب فقد عاد على تلميذه منه ما أزر عوده وشد عضده ، وقد ذكر العلامة احمد تيمور من مؤلفاته رفع اللثام عن اسماء الضرغام ! وهو كتاب لغة جمع فيه الشيخ ما ينيف على خمسمائة اسم للاسد ! وكتاب مفتاح الافكار في النثر المختار وهو مجموعة قيمة من الرسائل والخطب منذ الجاهلية الى العصر الحاضر وكتاب مفتاح الافكار في الشعر المختار وهو كسابقه مجموعة من القصائد منذ الجاهلية الى عصره ايضا ، والكتاب الاخير لم يطبع كديوان حماسته الذي اختاره على غرار ابي تمام ، واذا كنا نعلم عن السيد انه اختار من الشعر العربي (فحول البلاغة) فربما كان ذلك بتأثير مفتاح كما كان اختياره الاراجيز بتأثير الشنقيطي !!

ولم تحتفظ لنا الايام من نماذج مفتاح التعبيرية ما يحدد مكانته الادبية بوضوح الا ان ما بقي لدينا من رسائله يدل على احتذاء البكري لطريقته في الاستشهاد بالامثال السائرة ، والشخصيات التاريخية ، وقد كنا نقرأ في الكتب المدرسية نموذجا للشيخ احمد مفتاح من رسالة أخوية في التهادي قال فيها : ـ « الهدية غمرك الله بالمعروف تفرس بين المتحابين من الائتلاف ، بقدر ما تقطع بينهما من شجر الخلاف ، وما أنا فيما اهديه اليك الا كمستبضع تمرا الى ارض خيبر ، او كالواهب الماء للبحر ، والضوء للبدر ، والملك لسليمان ، والمال لقارون ، والحلم لاحنف ، والذكاء لاياس ، والتفسير لابن عباس !!» الخ ما جاء في هذه الرسالة التي تأثر بطريقتها تلميذه السيد البكري حين وصف أبا الهدى الصيادي بأنه كعب في الكرم والسموءل في الذمم والشعبي في العلم وابن ابي دؤاد في الحلم مما ينحو هذا النحو من حشد الاعلام المعروفة في معرض الادلال بالمعرفة والاطلاع !! وليس معنى ذلك ان الشيخ مفتاح ابو عذرة هذا الاتجاه فهو عريق موغل لدى كتاب الصنعة من اندلسيين وعباسيين ، ولكن الشيخ مفتاح كان مثاله الناهض امام عيني تلميذه فهو يحتذيه من قريب ! ونستطيع ان نجعل اثره الادبي في تكوين السيد أقوى من أثره اللغوي على نقيض ما يقال عن الشنقيطي ، وهو تخصيص تقريبي يوهنه ضعف الحدود حينئذ بين اللغة والادب ، اذ اننا نرى في هذه الحقبة من حياتنا الادبية تمازجا مبهما بين الادباء واللغويين ، بحيث كان كل الفريقين يدعي ما للآخر فكل لغوي يظن نفسه اديبا ، وكل اديب يتباصر بالغريب واللغة ! وقد

اتسق الجانبان في أسلوب البكري وثقافته فاذا كان السيد لغويا دقيقا في شرح الاراجيز فانك لا تدري في بعض كلماته النثرية اللغوي هو أم أديب !

اما الشيخ حمزه فتحالله فكان ـ بعد ان أغلقت مدرسة الانجال وخرج منها السيد ـ موزعا بين التدريس في دار العلوم والتفتيش بنظارة المعارف ، واذا كانت المواهب الفتحية خلاصة دروسه بالدار مع صفحات من آثار المبرد والقالي والمرتضى ـ كما يقول الاسكندري ـ فان دروسه للسيد البكري ـ استنتاجا فقط ـ لا يمكن ان تتعدى ذلك ، وقد كان للشيخ ولع زائد بتصريف الكلمات من اسماء وافعال ، ودأب حريص على سلامة اللغة وتنقيتها من الدخيل حتى جاهر بالوقوف لدى السماع في كل استعمال دون العمل بالقياس ، واذا كان قد قدم لتلميذه بعض القصائد الجاهلية مشروحة فان أثره قريب من أثر الشنقيطي لدى السيد توفيق ، وقد حفظت لنا كتب الادب رسالة انشائية وجهها الاستاذ الى تلميذه وقد يرى قارئها ان الشيخ حمزه فتحالله مغرقا مبالغا لا يقف عند حد ! ولكن الذين يعلمون ان كتابة الرسائل في تلك الايام لم تكن لتعبر عن حقائق صادقة او عواطف مخلصة بقدر ما كانت مجالا للتباهي بالقول ، واظهارا للقدرة على تنسيق العبارات واختراع المعاني ! هؤلاء يعلمون ان الشيخ حمزة قد سار في مبالغته على طريقته الانشائية التي اختارها لنفسه فقط ، وان كان بهذه المبالغة الشديدة، قد أنكر موضعه التوجيهي من تلميذه اذ صار السيد البكري في رأيه ببيانه المعجز دليلا عمليا على امكان البعث الاخروي لان الله الذي أعاد ببيانه قسا وسحبان وابن العميد وعبد الحميد في الحياة الدنيا قدير على ان يعيد هؤلاء في الحياة الاخرى ، ولعل القارىء المعاصر يتفكه بهذه الرسالة حين يسمع منها :

« لكنني آمنت عيانا ، ان الله تعالى يحي الموتى اعراضا وأعيانا ، اذ كانت كتبك زيادة في البيان والبرهان ، وان كان خبر المعصوم أوثق من الحس في النفس فانشد الله امرأ شيمته العدل ، والقول الفصل، أليست كتبك هذه حجة للموجب ، دامغة للسالب ، أليس ذلك البيان غاية شأو قس وسحبان، أليس قصارى ابن العميد وحمادي عبد الحميد ، وبعد فقد أعيد العرض الذي هو الكلام في الدنيا ، ففي الاخرى أحرى، فتراني يا مليك اليراعات ، ويا قسور تلكم الغابات أسيفا على ضن الزمان بك الى الان ، فلو ان الله تعالى براك ، وخلقك فسواك حين استعر الخصام في هذا المقام لما اختلف في شأنه اثنان ، ولا انتطح عنزان (٣) . » ولكي ننصف الاستاذ حمزة فتحالله نعلن انه تبعا لثقافته الخاصة كان يرى أسلوب صهاريج اللؤلؤ اقوى اسلوب يجوز ان يقارن بأساليب عبد الحميد وابن العميد وقس وسحبان على ما بينهم من فروق بعيدة !!

فالرجل صادق فيما بينه وبين نفسه لا يرى ـ كما نرى نحن ـ أنه بالغ فأكثر ! ولكن صدى حديثه لدى تلميذه قد ضاعف من تيهه ، بحيث لم يذكر اساتذته في ترجمة حياته ، ومن يذكر ؟ والشنقيطي غاضب عليه يثلبه في مجالسه ، واحمد مفتاح متطامن يغير زيه باشارة منه ، وحمزه فتحالله يقرنه بقس وسحبان !!

وقد كان للندوات المنزلية في هذه الحقبة من القرن التاسع عشر نشاط لا يفتر ، ففي منزل علي مبارك بالحلمية ندوة ليلية لا تقتصر على الوزراء والوجهاء بل تجمع اساتذة الادب وكتاب الصحافة وطلاب المدارس حتى انتقده رياض باشا مرات فما استطاع ان يستجيب له ، وفي دار الاستاذ الامام بعين شمس ندوة علمية تضم الصفوة المختارة من اصدقائه وتلاميذه وفي منزل احمد تيمور بدرب سعادة ندوة مماثلة لا يحتجب عنها طالب علم ، لان حاجات السمر ومطالب الانس لم تكن لتتاح للصفوة في غير هذه المجالس والندوات ، فكان ما يدور بها من النقاش العلمي يقوم مقام المحاضرات العامة للمتذوق المستفيد ، وكان في بيت البكري بالخرنفش ندوة مماثلة ، يؤمها كبار رجال الادب والدين، فيتباحثون ويتناقشون ، وطبيعي ان يكون الغلام الناشىء وقد كلف بالادب والشعر حريصا على استماع ما يقال ، وقد سجل الاديب الكبير الاستاذ احمد حسن الزيات ملخصا لندوة ثقافية في منزل السيد عبد الباقي البكري في مقال له تحت عنوان كيف عرفت الشنقيطي (٤) ، تحدث فيها عن مجادلة علمية دارت بين الاستاذ الشنقيطي من ناحية والشيخ سليم البشري والشيخ عبد الكريم سليمان من ناحية اخرى عن مشكلة نحوية تتعلق بصرف كلمة عمر كما يرى الشنقيطي باعتبارها جمعا لعمرة او منعها من الصرف كما يرى جمهور النحاة ثم انتهت الى الجدل في رواية بعض الاحاديث ، وبعد ان لخص الاستاذ الزيات فقه الحوار ولبابه ذكر ان المجادلة قد انتقلت من منزل البكري الى دور الصحف فرد الشيوخ وكتب الشيخ واستطار بينهم الخلاف اكثر العام ! والذي يعنينا من ذلك كله ان ندوة البكريين كانت حافلة بالنقاش ، وان الاديب اليافع كان ممن يستمعون القول في حداثته ، وممن يوجهون النقاش بعد وفاة اخيه ، فاذا قلنا ان رواد هذه الندوة كانوا اساتذة للفتى الناشىء لم نبعد ! واذا عرفنا ان جل هؤلاء الرواد كانوا رجال علم ورواية وأدب امكننا ان نجزم بأثرهم القوي في تكوين السيد توفيق البكري ! وان نهتدي الى اساتذته الحقيقيين من قريب!! وقد أراد السيد ان يثبت جدارته العلمية فتقدم لشيخ الازهر العلامة الانبابي ليختبره بنفسه ـ كما يقول السيد ـ فيما يقرأ بالازهر من العلوم ويجيزه ، فقام باختباره وكتب له اجازة قال فيها (٥) :

« وممن اعتنى بعد ما اقتنى ، وقطع المفازة فطلب الاجازة ، ولدنا النبيل العالم النجيب الجليل فخر السلالة الهاشمية وطراز العصابة الصديقية السيد محمد توفيق نخبة نسل صاحب رسول الله ابي بكر الصديق بعد ان قرأ علي رسالة الاوائل للشيخ عبدالله بن سالم البصري ونبذة من الاصول والفقه والحديث والتفسير وطرفا من العلوم العربية كالنحو والصرف والمعاني والبيان البديع مع جودة الالقاء وحسن التوضيح والتقرير فلما لاح لي كوكب صلاحه وفاح لي نشر مسك فلاحه، ورأيته أهلا لتلك الصناعة ، وجديرا بتعاطي هاتيك البضاعة ، حيث افاد وأجاد وأجاب ، وكشف عن المعاني النقاب ، وأخذ من الفنون باقوى طرف ، وأراد الاقتداء في اخذ الاسانيد بمن سلف ، فبادرت لطلبه ، باعطائه بلوغ اربه » .

ولا بد من وقفة عند هذه الاجازة !

فالسيد توفيق قد تقدم الى امتحان البكالوريا سنة ١٨٨٩ ، واخذ شهادتها وكان ترتيبه الاول كما قال ، وتقدم عقب ذلك في تاريخ لم يعينه الى الشيخ الانبابي ونال اجازته ثم تولى مشيخة المشايخ سنة ١٨٩٢ ، فاذا كان ما بين سنتي ١٨٨٩ ، ١٨٩٢ لا يتجاوز ثلاث سنوات تقدم اثناءها الى الشيخ الانبابي ، فان هذه المدة الوجيزة لا يمكن ان تعده لدراسة علوم الازهر شرعية ولسانية دراسة تؤهله لاجازة علمية من الشيخ الاكبر على فرض انه تقدم في خاتمتها ، اذ لم يحدد السيد تاريخ الاجازة ، وهي مسألة نقف عندها ، وطبيعي انه قبل الحصول على البكالوريا لم يكن يدري العلوم الازهرية الدقيقة كالفقه والاصول والمعاني ، منعا للظن بأنه استعد لذلك منذ نشأته ؟ اذ ان وجهة التعليم المدني بمدرسة الانجال وفي الدراسة المهيئة للبكالوريا ان التقت بعلوم الازهر في اوليات النحو والصرف والبلاغة فلن تلتقي بها في كتب الدراسة العالية التي تؤهل لاجازة شيخ الازهر وتدعو الى الثقة والاعداد!

---

(١) عصر اسماعيل ص ١٨١ ، ص ١٨٢ للاستاذ عبد الرحمن الرافعي.
(٢) تاريخ اعيان القرن الرابع عشر للعلامة احمد تيمور . (٣) الوسيط ص ٣٤٢ ط سادسة سنة ١٩٢٧ . (٤) مجلة الازهر ربيع الآخر سنة ١٣٨١ هـ . (٥) بيت الصديق ص ١١ . (٦) كنز الجوهر ، في تاريخ الازهر ص ١٤٨ . (٧) في شرح الصهاريج ما يشير الى ذلك .

وحين نرجع الى تاريخ الاجازات العلمية بالازهر نجد ان جدواها قد بطلت في مفتتح عهد الشيخ محمد العباسي المهدي الذي تولى مشيخة الازهر سنة ١٨٧٠ ، وعمل على اصدار قانون الامتحان لاول مرةبالازهر اذ يعين لكل ممتحن ستة (٦) من اكابر العلماء يتداولون امتحان الطالب في احد عشر علما من العلوم المقررة بالازهر وهي الحديث والتفسير والاصول والتوحيد والفقه والنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع والمنطق فاذ انتهى الامتحان وأجاب الطالب منح الدرجة الاولى او الثانية او الثالثة ، وكتب في سجل العلماء ، واذا لم يجب تأهب لامتحان آخر بعد عام ، وقد قضى هذا النظام الجديد على مدلول الاجازات العلمية !! فعلام تدل اجازة الشيخ الانبابي ؟ وقد تولى مشيخة الازهر بعد صدور قانون الامتحان بعدة سنوات ؟!

اذا كان المراد بها ان الطالب قد درس علوم الازهر جميعها ، واستحق ان يذكر بين علماء الدين ، فقد أصبحت الاجازة رسميا غير ذات موضوع بعد أن صدر قانون الامتحانات بقيوده وشروطه ؟ أضف الى ذلك انها لا تنص على جميع العلوم التي ينبغي للازهري ان يمتحن فيها بمقتضى القانون الجديد والتعبير بقول الانبابي (نبذة من الاصول والفقه والحديث والتفسير وطرفا من العلوم العربية) لا يعطي دلالة صريحة على دراسة جميع هذه العلوم اذا قورنت هذه الاجازة اجازة شخصية لا رسمية ! وللسيد ان يذكر نصها في ترجمة حياته ولكن ليس للباحث ان يعتبرها دليلا على تحصيل العلوم الدينية واللسانية بالازهر بحيث يصبح صاحبها من العلماء ! كما توهم ذلك مؤلفو الجزء الثالث من الادب والنصوص وهم الاساتذة السباعي البيومي ومحمد خلف الله وشوقي ضيف وعمر الدسوقي حيث قالوا في ترجمة السيد توفيق البكري ص ١١٢ « وتلقى العلوم في البيت على أيدي معلمين كان يترقى بهم كلما شدا في العلم حتى نال شهادة البكالوريا سنة ١٨٩٩وكان أول الناجحين، وبعدئذ التحق بالازهرحتى نال العالمية».

والواقع ان الرجل لم يلتحق بالازهر ولم ينل العالمية وانما اخذ اجازة الشيخ الانبابي فقط ! نقول هذا ونحن نعترف ان النجاح في الامتحان القانوني لا يستلزم ان يكون مجتازه عالما ، فكم من درجات علمية اعطيت بعد امتحانات متعددة لاناس دون ان يبلغوا كثيرا من العلم، ولكننا الان في معرض تقييم الاجازة الرسمي فقط ! ولا نمنع بعد هذا ان يصبح السيد توفيق البكري فيما بعد باطلاعه الشخصي اكثر من عالم ، بل هذا ما نراه ونؤيده ، وان كان ذلك ايضا لا يمنع الحكم المنصف على اجازة الشيخ الانبابي .

ثم اتيح للسيد في سنة ١٨٩٢ ان يأخذ مكان أخيه بعد وفاته فيصبح في شبابه الباكر شيخ مشايخ الطرق وشيخ السجادة البكرية ونقيب الاشراف ، ويعين عضوا دائما في مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ، ثم ينعم عليه الجناب العالي بكسوة التشريف من الدرجة الاولى وبالنشان المجيدي الثاني ، وقبل ان يحول الحول يسافر الى الاستانة لمقابلة امير المؤمنين فيدعوه مرارا الى حضرته الشاهنشاهية ويقلده النشان العثماني الاول ، ويمنحه رتبة الوزارة العلمية وهي قضاء عسكر الاناضول ، ويرجع الى مصر ليرى نفسه بها أرفع شيخ يتبوأ الصدارة بالقابه ونياشينه ! لقد سمعنا في الاساطير عن خاتم سليمان الذي يجده المحظوظ مصادفة فينيله جميع ما يريد ! ويخيل الي ان خاتم سليمان لو تحول الى حقيقة ووقع في يد السيد الطامح الى اعلى المراكز الدينية ما استطاع ان يزيده شيئا عما استولى عليه في عام واحد ، واذا كان من المتوقع ان ينال الشيخ الجديد مناصب أخيه والقابه واوسمته ! فان ما ناله من الجناب العالي بمصر لم يكن موضع استغراب ، فلم يزد الخديوي عباس على ان منحه حقوق سابقه من تعيين في مجلس الشورى وانعام بكسوة التشريف وبالنشانالمجيدي الثاني ، ولكن المستغرب حقا ان يرجع الشاب الناشىء برتبة الوزارة العلمية من الاستانة ، وهي لا تمنح لغير شيخ الاسلام .

فلا بد ان يكون هناك سر خطير ، والا فكيف يصير الشيخ الشاب بمنصبه التقليدي صاحب هذه الدرجة الكبيرة التي لم ينلها أخوه وأبوه ، ولم يبد من أعماله المستحدثة ما يجيز ان يأخذ اكثر مما يريد !

لقد تتبعت المظان الكثيرة التي يمكن ان تكشف هذا السر في حياة الشاب الطموح فلم أر غير العلامة احمد تيمور يقول في ترجمة الشيخ محمد المهدي العباسي ان السيد توفيق قد توصل الى ذلك كله بمسعاة ابي الهدى الصيادي ! صاحب الكلمة الاولى لدى امير المؤمنين وكلنا يعلم اعاجيب هذا الرجل الخارقة فقد نشأ في سورية ثم سافر الى الاستانة وربط نفسه بنسب علوي هاشمي قرشي . وأصبح بعد امد يسير مستشار الملك ووصف بحامي العثمانيين وسيد العرب ، وعرف عدوه من صديقه فأذل وأعز ، ورفع وخفض .وقد يأمر عبدالحميد بأمر فيبطله دون مبالاة وقد ينهي عن شيء فيفعله على رؤوس الاشهاد . ومن كانت له هذه الخطوة فلا بد ان تثور في وجهه العواصف ،ومهما استطاع ان يطفىء الشرر المتطاير فللجمر في خلل الرماد اوان قريب يندفع معه اللهيب .

واذا كانت مفخرة ابي الهدى الاولى عند السلطان انه شيخمشايخ الطرق الهاشمية في بلاد الاسلام فقد وجد في بغداد من ينابذه العداوة، فيغمز نسبه الهاشمي ويطعن في انتسابه للمتصوفة . هؤلاء هم القادرية أتباع عبد القادر الجيلاني بالعراق الذين شنوا الحرب على الرفاعية وابو الهدى الصيادي وقد أعياه امر القادرية ما استطاع ان يستميلهم ثم رأى ان يحصر الخطر في العراق اذ ان الشاميين أتباعه ومواطنوه ، فاذا ضم الى طاعته شيخ مشايخ الطرق في مصر فقد خرج بكسب كبير. على انه بعد في حاجة الى عون مشايخ الطرق بوادي النيل فجرائد الاحتلال كالمقطم تشهر بهوتفسح صدرها لمقالات كثيرة فيتناقلها القراء مرددين وتلاميذ الافغاني بالقاهرة ، قد ضاق بهم ذرعا ، فاذا ضم الى انصاره شيخ مشايخ الطرق الصوفية بمصر فقد فاز بكسب كبير . هذا ما رآه ابو الهدى حين طلب من السلطان منح الشيخ الشاب رتبة الوزارة العلمية ، وقد صادفت منه أعظم موقع فرجع من الاستانة ليقول عن ابي الهدى الصيادي في كتابه صهاريج اللؤلؤ (٧) ص ٤٠

« هو رجل رفيع العماد ، كثير الرماد ، رحب الصدر ، رحب الفؤاد ، قد صرفت اليه وجوه الامل ، فكأن بيته قبة اطنابها السبل ، معطاء غطريف يرى ان شقا في باطن البرة قسم بينه وبين الضعيف ، اياد قتلن دفرا والدهيم بالفواضل ، فأم دفر وأم الدهيم ثاكل ، غياث المرمل المحتاج ، وعصمة في الزمن الكلاح عربي في سجايا مضر وزيد مناة ، أجود بالجاه من المال وبالمال من الجاه ، كعب في الكرم ، والسموءل في الذمم ، وعمرو بن العاص في الرأي ، والمغيرة في الدهى، والشعبي في العلم ، وابن ابي دؤاد في الحكم ، في فصاحة لا تبلغها مقاول هذيل في أكلائها ،وقراضية نجد في بطحائها ، وقريض كاللآل كل بيت شعر خير من بيت مال ، فكأن أبياته رماح والقوافي أسنة ، وكأن شطري كل بيت منه مصراعا باب قصر من قصور الجنة ، حماس وسماح كالماء والراح ، وبأس في جود كالنار في العود .

ودعاك حسدك الرئيس وأمسكوا ودعاك خالقك الرئيس الاكبرا »

ولا نحب ان نستطرد فنذكر بعض ما قاله عبدالله النديم في المسامير هجاء لابي الهدى الصيادي ، فنقرن الضد بالضد وقد كتب النديم مساميره بعد ان خط السيد مقامته الصيادية وقبل ان يذهب عبدالله الى الاستانة ويرى ما دفعه الى اصدار كتابه .

نقول ذلك لان السيد عبدالله النديم كان اول المرحبين بمنح السيد توفيق البكري رتبة الوزارة العلمية ، وقد قال في استقباله بعد عودته من الاستانة بجريدة الاستاذ « وقد أشرقت انوار مجده السامي على رتبة الوزارة العلمية (قاضي عسكر) فسررنا بتوجيهها الى سيد ارتفع مقام سيادته على ذروة سنام الرتب ، وطلعت بدور فضله على النيشان العثماني من الدرجة الاولى فحظى بوضعه على صدر ملىء حكمة وعلما

حنان الام

عكفت تداعب طفلها … بعد الشروق بناحيه
جذلى تطاوعها اللحون … السائفات بقافيه
ماما .. كايقاع الهديل … على الغصون العاليه
وبنفسها لوليدها … روح المحبة باديه
ترنو اليه بطرفها … في رقة متناهيه
وتبثه من روحها … أشواق أم حانيه
والطفل في غمر الحنان … مع السرور.. بعافيه
غاف على همساتها … بين الاماني الزاهيه
في الطهر يرفل كالملاك … الى ظلال هانيه
ويروح ينطقها بلطف … كالمعاني الساميه
ويعيدها بتلعثم … ماما .. ويهدأ ثانيه

الكوت ــ العراق

كاظم محمد حسين

هل تاب الشاعر

من قال تاب عن الحسان الشاعر … وسلا وفيه من الحياة مشاعر
من قال عاف الغيد او هجر الطلا … وبكفه للراح كأس زاهر
ابدا فان حنينه وغرامه … باق يجدده الجمال الساحر
دمه يفيض هوى فكل عروقه … شعل يؤججها غرام فائر
يقتات بالقبلات في ليل الهوى … والحب فهو مغامر ومعاقر
يشدو ويهتف للهوى بنشيده … ان لاح بين الغيد وجه ناضر
هو في الحياة كطائر متنقل … في الروض هل يجفو الربيع الطائر
اني سرى غنى الجمال بركبه … طربا ورنت باللحون قياثر
حتى الطبيعة وهي مصدر وحيه … لولاه ما رفت شذى وازاهر
تندى الطيوب من الكمائم في الربى … وتضوع فهي على البطاح مجامر
وتغرد الاكوان خلف ركابه … فكانما هو في الطبيعة ساحر
لا يزهر الوادي ولا تزهو الربى … الا اذا ما طاف فيها الشاعر
هو لا يتوب عن الهوى فحياته … حب وما لهواه يوما آخر
ما عاش الا للحسان وشعره … من قال تاب عن الحسان الشاعر ؟

البحرين

احمد محمد الخليفة

فنهنىء الرتبة والنيشان بما نالاه من النسبة الى نسيب تتلو المفاخر آيات حسبه الجليل ومجده الاثيل » .

وقد اضافت المؤيد الصادرة بتاريخ ٢٢ صفر سنة ١٣١٠ في تعداد مزية هذه الرتبة السلطانية فتحدثت عن درجتها ووظيفتها وتاريخ انشائها باسهاب نقله السيد توفيق ص ١٥ من بيت الصديق ثم ختمت المؤيد حديثها بقولها (ويمكن ان يقال انه لم يقلد هذه الرتبة السامية من علماء مصر احد قبل سماحتلو السيد البكري ، ولم تعط لاحد دفعة واحدة قبله ، ولا نالها احد وهو في سنه الذي لا يتجاوز اثنتين وعشرين سنة ، وفي ذلك ما يغني عن بيان ما احرزه سماحته من تعطفات الحضرة الشاهانية الجليلة عن أهلية واستحقاق ، لا زال راقيا اوج التقدم وذروة المعالي) .

هذا تفسير ما نعلم من حديث الرتبة وبواعثها ، وصداها لدى الناس وقد رجع السيد الى القاهرة من الاستانة ليجد هذا الصدى مجلجلا رنانا بمصر ، وكأني به اذ ذاك وقد فارق عهد النشأة المتطلعة ليأخذ دوره السياسي والديني والادبي على مسرح الحياة المصرية وهو دور متعدد النواحي وسنجلو كل ناحية منه بما ينيرها من الاضواء .

الفيوم ــ دار المعلمات

محمد رجب البيومي

عادل جبر — جورج متى شريف صبوح

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ ـ عادل جبر

في « يافا » عروس الساحل الفلسطيني ولد عادل جبر عام ١٨٨٥ وروى لصديقه الاستاذ عجاج نويهض ان اسرة (جبر) في يافا هي فرع من اسرة (جبر) في بيروت .

تلقى دراسته الابتدائية والثانوية في فرير يافا وقبل الحرب العظمى قصد سويسره طلبا للعلم وعاد الى فلسطين بشهادة في الاقتصاد والعلوم السياسية .

وبينما كان عادل بفلسطين عام ١٩١٢ يقضي العطلة الصيفية ويهم بالعودة الى سويسره لانهاء تحصيله مر بفلسطين مولاي السلطان عبد الحفيظ ، سلطان مراكش (المغرب اليوم) في طريقه الى الحج ، بعد ان تنازل عن العرش لخلفه مولاي السلطان يوسف ، وكانت أزمات المغرب تتوالى منذ عام ١٩٠٥ بين فرنسا والمانيا ، حتى غدت من المشكلات الدولية ، فطلب مولاي عبد الحفيظ ، وهو في القدس ، ان يختاروا له شابا ذكيا يتقن الفرنسية ليكون امين سره في زيارته البقاع المقدسة ، فوقع الاختيار على عادل جبر ورافق السلطان في رحلته ثم عاد معه الى مراكش وهناك افترق عنه وتحول الى سويسره ،ولافتراقه هذا قصة طريفة نبسطها تاليا للقارىء :

لما عاد مولاي السلطان عبد الحفيظ من الحج الى قصره في الرباط ، وعادل في حاشيته ، احب ان يستبقيه امينا لسره ، واغراه له بذلك عرض عليه ثلاثة مغريات : ١ ـ قصر كامل الرياش والاثاث والزينة والخدم والحشم . ٢ ـ مال يكفي لزواجه في كنف مولاي السلطان ، هذا ما عدا مرتبه الدائم ٣ ـ امانة سر السلطان .

فشكر عادل مولاي عبد الحفيظ واكد له ان اعذب امانيه العودة الى سويسره ليكمل تحصيله ، وحين عودته لفلسطين والشهادة سلاحه كان يقول لاصحابه ، كلما ذكروه بمغريات السلطان : « لم اندم ولله الحمد ! » .

قبيل نشوب الحرب الكبرى عاد عادل الى فلسطين واختصاصه الاقتصاد والعلوم السياسية ، ولما انشأ جمال السفاح الكلية الصلاحية في القدس عام ١٩١٥ لتكون اداة لتخريج شبان مسلمين للخدمة في آفاق الدولة العثمانية بعد النصر عن طريق المانيا ، تحقيقا للبرامج الطورانية التي كانت المانيا راضية عنها خداعا للطورانيين من الترك ، عين عادل استاذا فيها وكان الشيخ عبد العزيز جاويش (١) مدير الكلية الصلاحية والمهيمن على برامجها وكانت لعادل جبر اليد الطولى في تنظيمها من الناحية العلميــة .

واجتمع وقتئذ رهط كبير من رجالات العرب في الكلية الصلاحية يتولون التعليم ، وكان هؤلاء الرهط من حملة الفكرة القومية العربية ، وكان السفاح قد علق القافلة الاولى من الشهداء في بيروت .

وعمد هؤلاء المربون الى الحكمة والروية بحيث استطاعوا ان يغذوا الطلاب العرب بروح اليقظة العربية دون ان يتعارضوا في هذا مع نزعة الشيخ جاويش الاسلامية، ومن رهط الاساتذة الذين عملوا في الكلية الصلاحية خليل السكاكيني ورستم حيدر واسعاف النشاشيبي وعبد الرحمن سلام (من بيروت اصلا) وفئة طيبة من دمشق وسائر البقاع العربية بلغ عددهم نحو العشرين .

اما الكلية الصلاحية فبقيت الى آخر عام ١٩١٩ ولما اقترب الجنرال اللنبي من القدس نقلت الى دمشق وهناك بعد قليل انتهى امرها ، ومعظم الشبان الذين درسوا فيها كانوا من رواد الحركةالعربية فيما بعد من مختلف الاقطار .

وبعد الاحتلال البريطاني وانشاء ادارة عسكرية في فلسطين عين عادل جبر مديرا للمعارف وبقي في هذا العمل بضع سنوات ، وعني بتنظيم شؤون المعارف مدة الادارة العسكرية ، وكان لديه وقتئذ بضعة معلمين مصريين، ثم استقال من عمله واشترك مع صديقه الحميم خليل السكاكيني .

وبعد عام ١٩٢٣ عينه المجلس الاسلامي الاعلى قيما على مكتبة المسجد الاقصى في بيت المقدس ومحافظا على المتحف الاسلامي ، ويعزى الفضل في تنظيم المكتبة والمتحف له . ولما انشأت حكومة فلسطين معهد الحقوق الفلسطيني في القدس عام ١٩٢٣ عين عادل استاذا للاقتصاد والعلوم السياسية فيه وامضى عدة سنوات في عمله هذا .

وبين ١٩٢٣ و ١٩٣٠ ندبه المجلس الاسلامي الاعلى لاداء عدة مهام تتعلق بالمصلحة الوطنية ، فذهب الى مصر مرات وانجز ما ندب له على خير وجه .

وبعد نشوب الثورة القومية في فلسطين المشهورة بـ « ثورة البراق الشريف » عام ١٩٢٩ احب عادل ان يمارس خدمة القضية عن طريق الصحافة فانشأ في بيت المقدس جريدة يومية باسم « الحياة » وهي اول جريدة عربية صدرت يومية في فلسطين بعد جريدة « لسان العرب» (٢) لصاحبها المرحوم ابراهيم سليم النجار وهذه لم تعمر الا قليلا اول الامر بعد انشاء الحكومة المدنية في

فلسطين في تموز ١٩٢٠ ، ووفق «عادل» في ان يكون شريكه في «الحياة» الاستاذ خير الدين الزركلي احد حملة الالوية في الحركة القومية العربية وشاعرها السباق . وظلت «الحياة» تناضل نحو سنتين في اوقات حرجة وشدائد مرة .

وخلال الحرب العالمية الثانية بقي عادل في فلسطين ولم يتعاط عملا معينا ، ولما تفرق العرب بعد وقوع النكبة في ربيع عام ١٩٤٨ قصد عادل مصر وعاش فيها قريبا من صديقيه خليل السكاكيني واسعاف النشاشيبي ، اللذين حملتهما النكبة على هجر الوطن المغصوب .

ولما رجع عادل الى الاردن عين في أول شهر ايلول ١٩٥١ عضوا في مجلس الاعيان الاردني وظل عينا الى ان توفاه الله في أريحا شتاء عام١٩٥٣ والثلوج تغطي السهل والجبل .

كان الفقيد هادىء الخطى والكلام ، متزنا في عقله وفكره وفي كل حركة يأتيها ، واديبا ناضجا ، ومحفوظه من لباب الادب العربي لا يقل عن محفوظ صديقيه السكاكيني والنشاشيبي بالاضافة الى اشباعه من الادب الفرنسي . وصداقته مع خليل السكاكيني ومعروف الرصافي كانت مضرب المثل في الوفاء . « وخلقه قطعة من السماحة والرضى ، وناسوته مشتق من ملاء كانه ملائكي!» (٣) . وعلى الجملة يعد عادل من صفوة رجال العلم والفكر العرب في النصف الاول من القرن العشرين .

من آثاره القلمية : رغم امتلاء حوض المرحوم عادل جبر بالعلم والادب فانه لم يؤلف الا شيئا ضئيلا . فقد ترجم عام ١٩٢١ عن الفرنسية كتاب « روح القومية » لماكس نوردو وطبعه في مطبعة « لسان العرب » بالقدس لصاحبها ابراهيم سليم النجار .

ووضع المرحوم جورج انطونيوس دليلا تاريخيا بالانكليزية والفرنسية عن تاريخ المسجد الاقصى والحرم الشريف لافادة السياح الاجانب ، وتولى عادل وضع الدليل بالعربية مسترشدا بما وضعه انطونيوس .

ولعادل عدة مقالات وفصول نشرها في « لسان العرب » بلا توقيع صريح ، وخلال الحرب العالمية الثانية اذاع من دار الاذاعة الفلسطينية بالقدس طائفة من الاحاديث الادبية والعلمية المفيدة .

٢ ــ جورج متى

ولد في عكا الغافية على زند المتوسط عام ١٨٧٢ ، وهو من أصل يوناني ، وتلقى دروسه الابتدائية في المدرسة الارثوذكسية هناك على استاذ الجيل المعلم نخله زريق الذي كانت باكورة اعماله بفلسطين التعليم في المدرسة الارثوذكسية بذلك الثغر الجميل .

وبعد ان انهى جورج دراسته الثانوية في كلية الشباب بالقدس على المعلم زريق مال الى الادب بفطرته ونال حظا موفورا من الادبين العربي والاغريقي ، وكل منهما معوان للاخر ، وقرض الشعر واشتهر بالغزل ، وله في هذا الباب شعر رقيق عذب .

ومما يروى عنه انه مر ذات يوم بحسناء نافرة في احد احياء القدس فبهره جمالها والصليب اللماع يرقص على صدرها المرمري فصاح من فرط ذهوله :

لما رأيت صليبها   في ذلك الصدر المليح
ناديت من فرط الجوى   يا ليتني كنت المسيح !

بعد ان تخرج هذا الشاعر من كلية الشباب قصد دمشق واصدر فيها عام ١٩٠٠ مجلة ادبية شهرية اسماها « الشمس » بمشاركة صديقه جورج سمان وقد عاشت سنة واحدة .

وفي دمشق عمل في الخط الحديدي بضع سنوت نظرا لالمامه بلغات اجنبية ثم استدعاه البطريرك ذميانوس الاول الى القدس ليعلم العربية في مدرسة المصلبة اللاهوتية فسلخ في التدريس هناك مدة سبع سنوات .

ولتمكنه من اللغتين العربية واليونانية ، بالاضافة الى التركية والفرنسية والانكليزية ، عينه البطريرك ذميانوس الاول سكرتيرا خاصا وترجمانا في البطريركية الارثوذكسية بالقدس .

واشتهر هذا الاديب بحفظه شوامخ دواوين الشعر العربي عن ظهر قلب ، كديوان المتنبي وديوان ابن الفارض ونشر قصائد ومقطوعات من نظمه في مجلة « النفائس » وغيرها من المجلات العربية ، وتميز في سني حياته بتطيره وانزوائه عن الناس وانطوائه على نفسه وهلعه عند ذكر الموت .

وفي الخامس عشر من شهر كانون الاول عام ١٩٢٤ توفي هذا الشاعر الرقيق في طبرية ودفن في عكا مسقط رأسه .

نماذج من شعره :

وبدر تم قد دعته النوى   فشمر الذيل لداعي السفر
فقلت : « يا بدر كم بيننا ؟ »   قال : «نهار» قلت : « لا مصطبر!»
قال : « نهار واحد ثم لا   تصبر؟» قلت : «الصبر ويحي نفر!»
أموت من قبل انقضا ليلة   وذا مصير العاشقين الامر !
فهلا رحمت قتيل الهوى   يبيت وتشويه نار سقر !

---

(١) ــ (١٨٧٦ ــ ١٩٢٩) من رجال الحركة الوطنية في وادي النيل، تونسي الاصل ، ولد بالاسكندرية وتعلم في الازهر الشريف ودار العلوم وتولى تحرير «اللواء» ١٩٠٨ فحمل على الاحتلال وسجن ستة شهور لمقال كتبه عن حادثة دنشواي ، وثلاثة شهور لكلمة قدم بها ديوان « وطنيتي » من نظم علي الغاياتي . (٢) صدرت في القدس وصدر العدد الاول منها في ٢٤ حزيران ١٩٢١ (٣) من رسالة تلقاها كاتب هذه السطور من الاستاذ عجاج نويهض (نزيل رأس المتن) بلبنان . (٤) من الكلمة التي القاها المرحوم شريف صبوح في حفلة التكريم التي اقامتها بلدية نابلس على شرفه بمناسبة اعتزاله العمل .

يـا بدر ! يا بـدر ! لا تشقنـي ـمـا كنت والله أرضـى الحفر !
ارحم معنـى عنـده لوعـــة وشفـه الوجـد فـلا مستقـر !
وقصـر النـاي فبـي حرقـــة لا تقـس يـا بـدر فعل القـدر !

وانشد جورج متى في ثوب الرياء الشفاف :

يلبـس منـه الكبريـاء بتواضـع ويخفي بما يبديه ضحكا من الذقن
يقول : «انا العبد الفقير» وقصده مدلا «انا المولى الخطير» لمن يثني
كما قالت الحسناء عجبا بنفسها : «الا انني شنعا» تريد انظروا حسني

ونظم هذا الشاعر الحكيم في الفرج بعد الضيق :

اصبـر اذا الدهـر عليـك اعتدى واثبت على مكروهـه والحـرج
فالدهـر كالدولاب فـي صرفـه وليس بعـد الضيق غيـر الفرج

وكتب على رسم له اهداه الى صديق :

لقد بعتكم قلبي بمحـض ولائكـم وكلفـت قاضي الود للبيـع يعقـد
وذا الرسـم في ايديكم هـو حجـة علي ونور الشمس بالرسم يشهـد

وحز في نفس هذا الشاعر الحر ان يـرى الدنيـا مقبلة على اناس هم من رواسبها ، وان يتوسد نفر مـن الجهال اعلى المناصب واسماها ... فأنشد من فرط المه واحساســه :

أهـل المناصـب ماتـــوا فقلدوهـــــا العلوجـــا
مـن قلـة الخيـل شـدوا علـى الكـلاب سروجـا !

٣ ـ شريـف صبـوح

في نابلس مصنع الرجال وعرين الابطال ولد شريف صبوح عام ١٨٨٧ وتعلم في كتاتيبها واعداديتها ، وفي العهـد التركي عين معلما في المدرسة المأمونية بالقدس وانكفأ على المطالعة والدرس ومارس اعمالا حكومية اخرى كمديـر للمدرسةالرشادية في نابلس ومعاون لمدير التحريرات هناك .

وبعد ان وقعت فلسطين فريسة بين فكي الاسد البريطاني ظل شريف يزاول التعليم كمفتش لمعارف نابلس بالوكالة ومفتش اصيل لمعارف هذا اللواء ومفتش لمعارف يافا ومفتش لمعارف القدس ، وفي سنة ١٩٤١ أحيل على التقاعد فاختاره المجلس الاسلامي الاعلى مفتشا للمدارس التي تقع تحت اشرافـه .

وبعد وقوع النكبة الكبرى عام ١٩٤٨ انتقل مـع اسرته من بيت المقدس الى نابلس وعين معتمدا للاوقاف الاسلامية في طولكرم وجنين وفي عام ١٩٥٠ عين مأمورا لاوقاف نابلس وبعد عام اسس « مدرسة روضة الاطفـال الخديجية الاهليـة » بادارة كريماته واشرافه منشـدا بنـي قومـــه :

بتعليـم بنت الحي تحيا بلادنـــا فتلـك الى نيـل الترقي يد طولى
ولن ينجح النشء الجديد بغيرها اذن علموها فهي مدرسـة أولـى

والجدير بالذكر ان هذا المربي العصامي كان عضـوا مؤسسا لكلية النجاح الوطنية بنابلس. وفي حرب فلسطين (١٩٤٨) كانت له يد طولى في تأسيس اللجان القوميـة وتنظيم الدفاع عن بيت المقدس والدعـوة الـى مؤازرة الجمعيات النسائية العاملة في الحقلين القومي والاجتماعي .

وفي صباح ١٤ ـ ١١ ـ ١٩٦٣ اصابته نوبة قلبية حادة ففاضت روحه في المستشفى الوطني بنابلس ودفن فـي المقبـرة الشرقية .

نموذج من نثره : (٤) « لا ريب ان المواقـف التـي تمثل فيها العواطف دورها لهي احرج المواقف ، واي موقف تتحكم فيه العاطفة بالعقل وتظهر بأجلى مظاهرها اعظم من هذا الموقف الذي اودع فيه قوما احمل لهم بين اضلعي ما يحمل الولد لوالده والاخ لاخيه والصديق لصديقه مـن حـب خالص وود اكيـد .

نابلس ! هي امي الرؤوم ومسقط راسي ، ففيهـا ولدت وتربيت وترعرعت وبلبانها تغذيت ... فكيـف انساها وقد انبتتني نباتا طيبا وفي معاهدها تعلمت بينما كنت اقاسي من شظف العيش وبؤس الحياة ما قاسيت ... فأصبحت بحمدالله غنيا بنابلسيتي معتزا بقوميتـي مغتبطـا بحياتـي .

قبل الحرب العظمى كنت في القدس فشعـرت مدينتي الكبرى بذبول نبتتها فأتت بها الى نابلس وسقتها من موردها العذب فأينعت النبتة وعاودها اخضرارهـا واشراقهـا .

واذا كان للمرء ان يعتز باسرته ويفتخر بارومتـه وبتيه بعشيرته فانني اعتز وافاخر وأتيه بانني ابن نابلس ولن اتوانى لحظة عن خدمتها وخدمة كل بلد عربي لانـنـي نابلسي عربي وهذا كل ما احرزته في دنياي . »

عمـان ـ الاردن البدوي الملثم

من عينين

النـار منجـل . وأيـن الحصاد ؟
مـن قلقـي المزهر ... يا للحصاد !
مـا بـرح المـارد فـي قمقم
وروحـه الخضـراء روح الحـداد
الثمـر المزمـن . أمـا أنـا
يا الثمر المزمـن ، صـوت الرماد :
أحيـا علـى الحب الـذي مطلعـي
احـدى النجوم في ضمير السواد
أعبث بالتلويـن ... مـن ها هنا
أبـدأ ... يا تلويـن ، أنـي المراد
صيرت قلبي حرف شعبي ، وطرت
حامـلا اغنيـــة مـــن وداد
لكننـي رأيـت . مـاذا رأيت ؟
في الـذرى وفـي السفوح الجراد ؟
يا ارض، يا شاعرتي ! لا تطيري...
حسبنا نبسـم تحـت الضمـاد !!

حلب علي الزيبق

من اوراق الغربة

بقلم عبدالله الشيتي
سكرتير تحرير « اضواء الكويت »

* * *

امس ، حمل البريد الي ، رسالة من صديق بعيد ، وراء بحار الصمت والضجر .. هوذا يقول من خلال تمزقنا ، وانسحاقنا المجنون :

لن تسقط ابدا يا عبد .. ما زلت خصبا خيرا ، رغم هذه المرارة التي تنز من حروفك المدماة . ما زلت طيبا حنونا رغم هذا الاسى المفجع الذي يطل من بين سطورك واحرفك . نحبك يا صديقي..نحبك كيفما كنت ، وفي أي شكل تصبح فيه .. فدوامتك الصحراوية لا تبهجنا .. رغم ان البهجة حلمنا ابدا ! هوذا تنين العصر يسحق انسانيتنا .. يسلبنا اشياءنا الحلوة . امسينا على الجرح ولا ننزف دما . فكيف نصبح وليس في اعيننا أي امل جديد .. لكن يجب ان نعيش .. وحين نقول هذا الكلام ، فليكن كما نشتهي نحن ، لا كما يجب ان يفرض علينا!

اجل يا صديقي البعيد ، القريب .. شيء جديد طريف ، وفاجع هذا الشيء الذي نحياه .اننا ننتقل من الحقل الى الفرقة .. من النور الى الظلمة .من الحلم الجميل والمتألم الباكي ، رغم انه سحري ، الى الواقع الصلب !

يا صديقي ! لقد انتهينا من التجارب الاحساسية والنظرية والخيالية ، لنبدأ عهدا من تجارب الملموس والمكشوف ، والواضح ، واليابس .. نترك سراب الصفاء لنمسك بايدينا .. لنشعر جيدا باننا نمسك بايدينا واقعا لا سراب فيه ، اي لا جمال فيه !

الحلم سفر مليء بالغبار والبخار والضباب واللاوصول . والوصول الذي لا يشبع مليء بالاستزادة والاعجاب والدهشة والتوجع .. ولكن غالبا لا خيبة فيه . خيبته نظرية خيالية ، ليست خيبة مؤسسة في ارض ميتة ، ليست خيبة مقفلة !

— الواقع يا صديقي ، هو الذي يسفر لنا عن وجهه ، والحلم نحن الذين نرفضه . فلماذا..لماذا لا نمزج بين الاثنين ، فالحياة قصيرة ، لنعشها بالامتلاء الذي نحب !

— خيبة معرفتك الجديدة لوجه الحياة يا صديقي ، تعرف من خلالها معنى الهلاك الحقيقي ، وترى وجه الذعر .. وتعاني شهوة الموت !..الشهوة الصادقة للموت ، لا شهوة التحايل المدلل الكذاب .

نترك الترف — مهما قيل ان المال قتال ، فهو ترف نسبيا ،نترك الترف الى القرف !

— وتصرخ بي من بئر عميقة راعبة ، بصوت تشوبه المرارة والفجيعة : « يجب ان تجد حبا فتجترح المعجزة يا صديقي ، اعتقد ان الحب يقف لكل مآسينا بالمرصاد ، فيه نعيد خلق انفسنا . هناك اقول لك : ان ذلك عمل ممكن وعظيم وبه تبدأ من جديد ، كما بدأت انا.

— اننا احيانا نصاب بخيبة امل في الحب ! لا باس ! خيبته ستكون معرفة الحياة اكثر ..اكثر..اكثر ، وسنظل على استعداد لنحب من جديد !

انا لا اطلب لك المستحيل ، لكني اعرف انك ستخرج من تجربة الغربة والتشرد ، ممتلئا بالتجارب . غنيا بالتعب والسأم والياس والخبرة . نحن نبحث عن التجربة ولو دفعنا حياتنا ثمنا لها .. اما وهبنا انفسنا للحرف ، للكلمة؟

هل اقسو عليك واصوغ لك لحن الهرب والرفض والخوف ؟ هل أنفش لك صدري ؟ وقبور الحقيقة ، هل اخلع ابوابها جميعا لاردك الينا؟ انا لا افسد عليك ظنك الخائب ، لانني وكما تريدني لا اقرأ لك لاكون ناصحا ، اقرأ لك لاجد نفسي في سطورك .. واكتب اليك لتجد نفسك في سطوري وفي صدري !

— وبعد ، فقد امضني الشوق ، واعتصرتني الغربة !

اليك اقول ، من بين الاسلاك الشائكة حول روحي ، دائما هناك من لا يجتازون الا الطريق المجهول ... نحن هؤلاء !

أتدري لماذا ؟ لان لنا القدرة دائما على الكشف .. على التعرية . ولنا القدرة ايضا ، على ازاحة الستارة عن مسرح الحياة بكل شجاعة وصلابة وخيبة !

— اتعرف ؟! اننا لا نبكي الا عندما نريد.. وكثيرا بل ابدا ، نحن لا نريد ان نبكي..وهذا منتهى الرجولة ! ولذا اراك اللحظة تبتسم ابتسامتك العريضة الفرحة ، التي تعودنا عليها في دمشقنا الحبيبة ، امننا !

— كيف اخبرك عن الخرافة والدموع الوهمية التي تعطخب مسعورة من قوة تحجرها ؟ لم يكن لنا متكأ نستعين به على رد العاصفة ، لان خلفنا جبال الوهم والظلام والسواد ...

نحن لسنا بدعة ! وانا اراك الان يا صديقي البعيد ، القريب ، فاحس الغربة غربتين !

نحن اذن حقيقة !؟

— تلك الارصفة التي بدأنا تشردنا عليها مذ كنا صغارا .. اتذكر؟ انها ابدا موجودة في كل مدينة .. انت الان تحرك ضمير الحجر .. لقد بلغت في غربتك كل ما يصبو اليه أديب فنان..بلغت حدة التجربة. انت تعانيها .تتجرعها كؤوسا مرة . ومع ذلك تقول للناس العاديين : « ان الكأس حلو المذاق !.. نحن نكذب على الاخرين لاننا نرغب ان تكون تجربتنا ملكنا وحدنا .. ونحن اكثر الناس نزفا وألما في الحياة ، لاننا اكثر الناس احساسا بالماساة الفاجعة !

والماساة اننا نبحث عن الحقيقة ، والحقيقة وراءنا تبحث عنا ، وتجلدنا بسياط من لهيب ؟

— اني اتململ يا صديقي ! سحقتني الغربة . والنوم ثقيل على اهدابي !

راسي مثقل بالنعاس .. وقلبي يئن ويلهث .. وعلي ان ابقى في وجه العاصفة ، واقفا على قدمي !

صل من اجلي .. يا صديقي ، اذا كان هذا اضعف الايمان ...

الكويت — عبدالله الشيتي

نشأت (دلال) في احضان الرفاهية وتحت غيث النعمة فلم تعرف الهم والبؤس والعوز . لم يكن والداها ثريين بل كانا متوسطي الحال ولكنهما لم يرزقا من الاولاد سواها . لذلك دللاها وغمراها بالحب وتسليا بمداعبتها ليلا ونهارا . وما زالا بها كذلك حتى كبرت واصبحت شابة تحن الى الزواج والاولاد . وقد بلغ من عناية والديها بها ان ظهرت للناس في مظهر فتاة نبتت من اسرة عريقة الاصل ذات عز وجاه وثراء . ولعل شعورها بأنها مدللة وانها انيقة الثياب كثيرة الصواحب اوهمها بأنها سليلة اسرة نبيلة موسرة . وهذا ما بعث في نفسها طموحا خياليا من العسير عليها ان تحققه . طمحت الى ان تتزوج شابا مهنته الطب او المحاماة او الهندسة . لقد تزوجت صديقة لها طبيبا ناجحا ، فلم لا تتزوج هي طبيبا ناجحا ؟ وقد تزوجت صديقة اخرى محاميا معروفا ، فلم لا تتزوج هي ايضا محاميا معروفا ؟ ولكن صديقتيها انحدرتا من اسرتين لهما جاه ونفوذ . واين جاه اسرتها هي ونفوذها ؟ ومع ذلك فهي لم تيأس . تريد ان تقيم لصاحبتيها برهانا على انها ناجحة في حياتها نجاحهما . بحثت وسعت وجهدت ولكن بدون جدوى .

وكان لها ابن عم اسمه مروان كثيرا ما لاعبها وداعبها في ايام الصبا ، وكثيرا ما منى نفسه بالزواج بها في ايام المراهقة . اعجب بجمالها وخفة روحها وطلاقة لسانها . انه يريد زوجة مثلها . فلم لا يطلب يدها ؟ ولكن امه أيأسته من التزوج بها فهي اخبر من ابنها بسريرة نفس تلك الفتاة اللعوب المدللة .

وكان مروان يلح على امه في ان تزوجه فتاة حسناء تختارها له . وكانت امه تعده بذلك . وكلما طال الوفاء بوعدها قال لها في تلهف :

ــ لم لا تخطبين لي دلال ؟

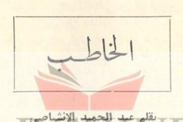
فتجيب في هدوء :

ــ لا تفكر في دلال يا بني ، انها ليست لك .

بحثت امه في عدة دور عن فتاة لابنها فلم يقع نظرها على واحدة تليق به . فقال لها مروان ذات يوم :

ــ ان دلال ابنة عمي وصديقتي ولست اطمح ان اكون لها زوجا ولكن في امكانها ان تخطب لي فتاة جميلة فهي كثيرة الصاحبات محبوبة من النساء معروفة بالمسايرة والتأثير في النفوس . وقد رأيت ان تبحث لي عن فتاة تروقها . فهل تمانعين في ذلك يا امي ؟

ــ كلا . انني احبذ هذا الراي وارجو ان توفق في امرك يا بني .



الخاطب

بقلم عبد الحميد الانشاصي

قال مروان لابنة عمه وقلبه يخفق خفقانا غريبا :

ــ عزيزتي دلال ! لي عندك طلبة واحدة ارجو ان تجيبيني اليها ،

فاحمر وجهها وقالت بصوت منخفض :

ــ ما هي ؟

فزاغ بصره الى ناحية واجابها :

ــ ان تخطبي لي فتاة تروقك . اريدها فتاة جميلة الوجه حلوة الحديث جذابة الملامح مثلك .

فضحكت ثم قالت : مثلي انا ؟

ــ نعم مثلك ، انك ان فعلت ذلك صنعت الي معروفا لن انساه لك .

فرمقته بنظرة من مؤخر عينها

قصة

وقالت :

ــ لعلك فكرت في طلب يدي .

فأطلق مروان قهقهة جافة وقال :

ــ انت ؟ لا . كلا . لم افكر في ذلك قط . انني اعلم انك لا ترغبين في اتخاذي زوجا لك ، ولكن فكرت مليا فوجدت انك اقدر بنات الاسرة على اصطياد فتاة حسناء لي بما وهب لك من حسن المسايرة وخفة الروح وقوة التأثير .

فابتسمت وقالت وهي تتمايل في دلال :

ــ حسن ! ارجو ان اكون عند حسن ظنك بي . سأسعى لك . سآتي بالمستحيلات من اجلك .

ــ اشكرك يا عزيزتي ! اشكرك !

واخذ يدها في يده وهزها في حرارة .

بعد مضي اسبوع من تلك المقابلة دخل مروان على دلال وقال لها :

ــ بشري يا عزيزتي .

فقالت في رزانة :

ــ لقد دللت على فتاة موسرة ورثت عن والدها بعض الحوانيت في سوق المدينة .

فقال في فرح : اصحيح ماتقولين؟

فأجابته في رزانة وهدوء :

ــ اجل ولكنها ليست من الجمال في شيء . انها الى الدمامة اقرب منها الى الجمال . انها قصيرة .

ــ هذا لا يهم .

ــ وفي عينيها جحوظ .

فعبس وقال : جحوظ ؟

ــ وصوتها غليظ اجش كصوت الرجل .

فزوى مروان وجهه عنها وقال :

ــ اوه ! ان فتاة فقيرة ذات جمال تفوق خمسين فتاة مثل هذه التي تصفين .

فتنهدت دلال وقالت :

ــ ان الغنى والجمال لا يجتمعان في الفتاة الا نادرا . لقد غرتني صاحباتي بها . وصفنها لي وصفا شائقا ، فظننت انهن صادقات في اقوالهن ، فأسرعت الى زيارتها .

ولم يكد نظري يقع عليها حتى كدت اشهق اصطداما . ان للفتاة قرائب وصديقات ينشرن لها دعاية واسعة النطاق بغية التوفيق بينها وبين من تحدثه نفسه بطلب يدها . ولكن لي ابن عم واحد ، ولست ارضى ان اخدعه او تخدعه فتاة فيتزوج بمن لا تلائمه .

— هذا املي فيك يا ابنة عمي . ارجو ان تهتدي الى الفتاة التي تروقك .

وبعد مضي شهر اجتمعت دلال بابن عمها وقالت له :

— بعد الكد والسعي وفقت الى فتاة متوسطة الجمال بيضاء ولكن ليس في وجهها جاذب من خفة الدم ، غير انها مثقفة . انها تعمل معلمة في مدرسة ثانوية . فما قولك فيها ؟ أأخطبها لك ؟

فكر مروان طويلا واخذ يفرك خديه وجبينه باصابعه ثم اجابها شارد اللب :

— متوسطة الجمال ومثقفة .

ثم ابتسم وقال :

— ولكنها ليست مثلك . اريد فتاة تشبهك .

فردت عليه بابتسامة مثلها وقالت :

— ان الجمال والعلم لا يجتمعان في النساء الا نادرا .

— لقد قلت لي من قبل : « ان الغنى والجمال لا يجتمعان الا نادرا » . والان تقولين : « ان الجمال والعلم لا يجتمعان الا نادرا » .

— اتؤثر الجمال ام المال ام العلم ؟

فنكس راسه مفكرا ثم رفعه واجاب :

— اريد هذه الاشياء مجتمعة في واحدة .

فقاطعته دلال قائلة : هذا محال .

— ان كان هذا محالا فالجمال مع قليل من العلم والمال .

— حسن ! اذن سأبحث لك عن فتاة تجمع بين الجمال المفرط وال. .

— والعلم القليل والمال القليل مثلك.

فضحكت وقالت : خبيث !

قضى مروان نحو عشرين يوما وهو يفكر في معبودته ذات الجمال المفرط مع قليل من العلم والمال . لقد تصورها فتاة ممشوقة القوام قمحية اللون واسعة العينين حلوة الحديث جذابة ملامح الوجه سريعة النكتة والجواب . وبما انه لم يعثر على فتاة من هذا النوع في حياته لم يجد بدا من الحوم في خياله حول ابنة عمه دلال . انها في نظره مثال المرأة الكاملة القريبة من القلب . كان يفكر فيها قبل نومه وعند اليقظة . كان يؤدي امام صورتها في ذهنه صلوات القلب المعذب المتيم . لم كل هذا البحث عن فتاة تخطب له والفتاة التي تروقه قريبة منه ووجهها في متناول كفيه ؟ انه ابن عمها فهو اولى بها من غيره من الشبان . لقد عاشرها مدة طويلة حتى الفها والفته وعرف طباعها وعرفت طباعه وانطبعت صورتها على ذهنه وانطبعت صورته على ذهنها . لم لا تكون له ، غير ان صوتا خافتا قطع عليه سيل تصوراته بقوله : « ولكنها لا تحبك ولو طلبت يدها لردتك خائبا . انك لا تصلح لها زوجا » .

وانه لفي مثل هذه التخيلات ذات يوم اذ دخلت عليه دلال ، فانتفض مستيقظا من حلمه وقال بنغمة فرحة:

— دلال ! خير ان شاءالله ! ارجو ان تكوني قد وفقت .

فابتسمت وقالت : كما تحب .

— ماذا تعنين ؟

— لقد وجدت ضالتك . اهتديت الى الفتاة التي تريدها زوجة لك .

— يا لله ! ان هذه خير بشرى في حياتي . صفيها لي

— فتاة ممشوقة القوام يجمع لونها بين البياض والسمرة خلابة ملامح الوجه مشرفة العنق ناهدة الصدر نحيفة الخصر عذبة الصوت بارعة في الحديث لا يفارق الابتسام وجهها الجميل و . .

— كفى ! كفى ! حسبي منها ذلك . اخطبيها لي .

فقالت بصوت منخفض وبنغمة فاترة :

— لقد طلبت يدها .

— وهل قبلت ؟

فهزت دلال راسها هزة النفي .

فقال ممتقع الوجه :

— رفضت ؟

— اجل . انها تريد شابا غنيا .

فلطم خده بكفه وقال :

— ما اسوا حظي ! المنحوس يعيش طول حياته منحوسا .

وبعد قليل قال لابنة عمه بصوت قوي مرتفع :

— دلال ! اريدك ان تغري تلك الفتاة بما لديك من حيل . اني على استعداد لتقديم مهر ضخم لها . سأقترض من اصدقائي مئات من الدنانير . سأهدي اليها اثمن الحلى والجواهر . يجب ان تقنعيها بانها ستعيش معي في راحة وسعادة وهناء .

فتنهدت ثم قالت : آه يا مروان ان صديقاتها يعبدنها حبا . وهي ان غابت عنهن يوما سألن عنها في كل مكان . انها غاية في خفة الروح والمداعبة . وهي فضلا عن ذلك مدبرة في البيت وحاذقة ومقتصدة .

فهب مروان من مكانه ومد اليها يديه قائلا في حماسة :

— لا اريد فتاة غيرها . يجب ان تزوجيني بها . نفسي تحدثني بانها خلقت لي واني خلقت لها . محال ان يتزوجها احد غيري .

فادنت دلال وجهها من وجهه وهي تحدق في عينيه وقالت :

— ما هذا يا مروان ؟ هل جننت ؟

فاطلق تنهدة عميقة صارخة وقال:

— صفيني بالجنون ! صفيني بالحماقة والجهل ! قولي عني ما تشائين على ان تزوجيني بها .

ما زال وجهها دانيا من وجهه ، وما زالت تحدق في عينيه في صمت. لقد القت عليه نظرات عطف سلبت فمه قوة النطق واذهلت عقله فلم يفه

الى بعيدة

صمتي على المصباح ، يلهث والثواني ،
بحة في الروح .. نقش بابلي
والريح ميتة على الابواب .. تنقرها
ويهذى توقها بالوهم .. بالحزن النقي
ويلي — أيعصرني الرحيل .. على يديه
ويدور بي ، أأظل ازرع في عيوني .. مقلتيه
لو جرعة .. تدني اشتياقي منك ، يا هدبي الحبيب
لو ضحكة .. تنداح في نبضي .. وتعبر وجهي ،
القاسي الغريب
ضيعت — يا طعم الحنان — مذاق بسمتك الشهي
اغلقت ابوابي علي .. هجرت افراح الزمان
وبسطت ايامي .. على قنديل شمسك ارتجيها ،
لو تؤوب
لتذيب ملح الشارع المصلوب في قلبي ،
المعلق بالدروب
لو نظرة .. تروي جفافي .. تمنح الاعوام ،
في عيني .. اخضرار
وتسح .. تمسح ما تخلف في الجبين .. من الندوب
أواه — لو القاك — يا مطرا يضيء ، بزحمة الطرقات
والريح .. الكذوب
لو ترتمي شفتاي فوق تراب صوتك اذ يجيء
مع الغروب
ويمر بي عبر الشواطىء .. والضفاف
واظل احمله .. اجوب الليل اذبح في حناجره ،
الهتاف
اذ ارتجيه .. واحرق الغصات في حلقي ،
اواريها .. ارتشاف

من يا بعيدة — يسلم الصيف الحزين ودائع
الوعد القديم
من يعصر الفرح المقطر في دمي .. يرويه ،
حزن العين.. والقلب الشفوق
ويسيل اقداح المحبة .. يسكب القدح الاخير
يخيط في مزقي .. الرتوق
ويحط في صدري يمامة عودة الغياب من
ثلج .. الطريق
من — يا حبيبة — يدفع (القشات) في البحر
البعيد لتلتقي .. كف الغريق
ويلي .. أصوتك قادم نحوي كحبات من الرمل
المهاجر .. عبر صحراء النهار
ام تلكم الريح التي جنت على الابعاد تفويني
واستجدي اياديها .. انهمار
من يا (.....) يمد طرفي المتعب الاهداب
نحوك .. يغرق الروح انتظار
ويذيب وجهي بين عينيك المرطبة الاسى لانام
كيلا .. استفيق
لاظل انسج من خيوطهما مداي المرهق الالوان
انهل .. من مياههما البريق
الله لو مدت يداك الي ، يوما صادفتني في
الزحام .. بلا رفيق
لاعشوشب الفرح المغبش في عيوني وانتهى
حزن الطريق

اربد — الاردن عمر ابو سالم

بكلمة واحدة . لم تظهر الحياة الا في عينيه اللتين تسرحان نظراتهما في ذلك الوجه الساحر المقابل لوجهه في ضراعة وخشوع . تجلى العطف عليه في عينيها ، وتجلى غرامه بها في عينيه ، فرقت نظراتهما وتصاعدت تنهداتهما . وبعد برهة تمتم مروان قائلا بصوت منخفض :

— انها مثلك . صفاتها كصفاتك تماما .

فقالت بصوت منخفض :

— ولكنك لم ترها قط .

— يخيل الي انني رايتها فقد رايتك .

فكسرت طرفها وقالت :

— مروان ! اتفكر في ؟

— اجل . دائما .

— هبني قبلت .

— اذن اصبح سعيدا . انني اريدك انت . ما حاجتي الى تلك الفتاة ؟

لقد أضعت وقتك سدى وانت تبحثين عن فتاة تخطبينها لي ، انا الذي كنت اسعى لا انت . واخيرا كلل سعيي بالنجاح . كنت في سعيك كالشمس تدورين حول نفسك . وكنت في سعيي كالارض ادور حولك .

ثم ضمها الى صدره وتبادلا قبلة طويلة حارة .

نابلس عبد الحميد الانشاصي



محمود بن الشريف

محمود تيمور رائد القصة العربية

بقلم محمود بن الشريف

* * *

« وما نحن في انتاجنا القصصي الا عباد يتزلفون الى سماء الفن بألوان القرابين والمحظوظ منا من تتقبل قربانه السماء ، فارفع يديك معي نسأل ملائكة الفن ان تفتح لي باب القبول لما قدمت من قربان» محمود تيمور.

لم يكن في طريقه شوك وصبار .. وحسك ... ومع ذلك حطم القولة المأثورة التي تقول : « ان من ولد وفي فمه ملعقة من ذهب فنهاره ليل وليله نهار ، وحياته مجانة وددن ولهو وجدة » واثبت ان الجوهر النقي والمعدن الحر له وزنه وله قيمته في كل مكان ومجال ، وجعل من تلك القولة السالفة اسطورة وحديث خرافة ، وجعل اسم اسرته واسمه يدوي في الاوساط الادبية والمحافل الاجنبية بما استحدث وبما ابتكر ، وبما طوع من الفاظ ، وبما ترجم وبما ترجم له ، وبما استحق من جوائز دولية ومحلية .. انه محمود تيمور ، رائد القصة الحديثة في ادبنا العربي ، وعملاق اللغة الذي لا تجد في اسلوبه سقطة لغوية او لفظة مريضة ، او قولة يتطرق الشك الى سلامتها وصحتها ، ولا غرو ، فشخصيته : موهبة ادبية ، صقلتها يد البحث والدرس ، والخبرة والتجربة والمران والمراس ، واقاصيصه : امشاج من نظرات صائبة في الحياة والمجتمع ، وشرائح منتزعة من صميم الواقع واقباس مما تمور به افئدة الاناسي ، وتموج به احلام البشر ، وانتاجه : معالم على طريق الادباء والمتأدبين ، ومشاعل تنير سبل الانسانية للسالكين ، ونفسيته : غدير صاف تنساب امواهه في وسوسة اخاذة هادئة لم تعكرها موجات حقد او حفيظة او غرور او تعال ، قالوا عنه : انه « ابن ذوات ارستقراطي »

وأنا اقول : انه « ابن اصل ». نشأ في الاسرة التيمورية ، تعهدته يد عمته الشاعرة عائشة التيمورية فأقرأته الكثير من شعرها ، وحفظ هو الكثير من هذا الكثير ، ثم اسلمته الى ابيه يذكي فيه الموهبة الادبية بما يسره له في صباه الباكر من الوان الثقافة والقراءة ، ثم خلص في النهاية الى يد شقيقه الكبير « محمد تيمور » الذي وجه هذه الموهبة الوجهة الانبفائية الواجبة .

وظل اديبنا «محمود» يكتب في مستهل حياته الادبية نثرا رقيقا رشيقا اقرب ما يكون الى الشعر ، واخذ يدبج مقالات ادبية كلها من الشعر المنثور ذي النزعة الرومانسية ، ولا غرو ، فقد تفتحت طاقته الادبية اول ما تفتحت على اشعار عمته وقصائد ديوانها ، وهو يقول عن الشعر : « وكان نصيب الشعر وافرا في مطالعاتي هذه الشعر بنوعيه : العربي والافرنجي ، وخاصة شعر المعاصرين ، وكنت افضل منه غالبا ما كان خياليا مفرقا في الخيال » واستقى محمود تيمور من روافد « فيكتور هوجو » زعيم الرومانسية في فرنسا و « جان بول ريستر » و «الفريد دي موسيه » وغدا انتاجه الادبي جله اسير هذا التأثر ، مصبوغا بالخيال المطلق عن الحدود والقيود .

وظلت طبيعته الرومانسية الشاعرية تغلب على انتاجه .. وظل يقرأ قراءات مختلفة متنوعة ، وكان يهضم ما يقرأ . فلا عجب ان تأثر انتاجه بعد ذلك بما قرأ ولا عجب ان بدا يتحول من ادب المقال الى ادب آخر قال عنه : « ويبدو لي ان تأثري بما قرأت من ادب اللغتين : الفرنسية والانجليزية قد اغضب علي شيطان الشعر المنثور فاذا هو يتخلى عني . شكرا لله له ما صنع ان كان للانسان ان يطلب الشكر للشيطان .. وجرى قلمي بقصة قصيرة هي (الشيخ جمعة) وعلى اثرها كتبت قصة اخرى هي (يحفظ بشباك البريد) » .

وبدا تيمور اولى رحلاته الى الخارج عام ١٩٢٥ ومعه جهاز لاقط حساس هو : ذوقه الرهيف واحساسه الذواق وعين الاديب اللماح ، ونظره الثاقب النفاذ ، وفي يمينه ريشة الفنان المبدع ، يصور بها خلجات حية ولوحات نابضة لما يراه ولما ينفعل به ، ولما يسترعي انتباه الاديب في هذه المغاني والمجالي .. جاس خلال الديار في اوروبا وآسيا وفي امريكا وفي المشرق العربي ، فشاهد عوالم وحيوات وبيئات واجواء لها تقاليدها ولها دنياها التي تعيشها .. وظل يلتقط ويسجل ويقارن ويفاضل ، واودع مشاهداته بعض كتبه وتضمنت كتبه عن هذه الرحلات زادا دسما وثقافة غنية بمعلومات جديدة مترعة بالسوانح والخاطرات فياضة بالاحاسيس المشبوبة .

وظل محمود تيمور يكتب ويتأنق في ادبه ، ويتأقلم في كتابته متطورا مع الاحداث منفعلا بالاتجاهات الحديثة ، وكتب اكثر من ثلاثمائة قصة قصيرة .. ثم ضمن عديدا من هذه القصص في مجموعات بلغت خمس عشرة مجموعة

وداع

شبحان معتنقان لفهما الدجى — هذا يئن .. وذاك دلا يئنني
متجاذبان ... فلو شهدت وداعنا — لحسبتنا .. وكأنه .. وكأنني ..
خفق الحشا ،حيران، مضطرب الخطى — جلدي الامين لدى النوى قد خانني!
سر في حمى الرحمن ،في كنف الهوى — واذا قضى الله اللقاء فلا تن
أنعلقك القلب الامين فسر به — مترفقا .. واكتب الي ونبني !
عللتني وقطعت اسباب الهوى — ما بيننا ... يا ليت ما عللتني !
أوحيت لي الشعر الرفيع ولم أكن — لاقوله ، لولاك ان علمتني
نمت قوافيه الرقيقة عن هوى — في اضلعي فخشيت ان يفضحنني
خذها معطرة ففيها نفحة — من طيب ثغرك يوم ان ودعتني
شفتاي تمتمتا بها فبعثتها — فيها شذى شفتيك اذ قبلتني

لندن — سعيد العيسى

من « العروة الوثقى »

قصصية .

وقد خرج بالقصة القصيرة من السذاجة والسرد الى الحبكة وقوة الربط وتركيز الاحداث وتحليل المشاعر و لاحاسيس مع الاثارة والتشويق ، على ان « القارىء اللغوي او التاريخي،ان صح التعبير ، يجد ان قصصه لم تلتزم التعبير اللغوي الفصيح منذ ان عالج كتابة القصة، فهو قد كتب في مطلع حياته الادبية قصصا عديدة بلغة التخاطب والمشافهة .. ثم الزم نفسه بعد ذلك بالتعبير اللغوي الصحيح الفصيح ، واتخذ ذلك ديدنا له وناموسا ، وصل به الى حد التعصب اللغوي ، لذا رجع الى ما كتب في صدر شبابه فهذبه وشذبه : هذبه من ناحية التعبير فحسب ، اما الفكرة وجوهر القصة وهيكلها فقد ابقي كل ذلك كما هو ، وقفى على آثار الكلمات الدارجة الموغلة في العامية التي لا نصيب لها من سماع او قياس واستبدل بها كلمات صحاما فصاحا .

تطويع وافصاح : وفي عصر الذرة والصواريخ وغزو الفضاء تلفت ابناء الضاد الى امهم ، وهم يخبون في سعيهم نحو التكامل والتسامي وتساءلوا : ما موقف اللغة من هاته الحضارة الحديثة بما تحمل من مستحدثات ومبتكرات في كل ميدان ومجال ؟ هل تقصر الفاظ اللغة وتعجز معاجمها عن ان تمد اللسان العربي بكلمات تؤدي هذه المعاني الجديدة ؟ وهل لا مندوحة امامنا الا ان نعتمد على المستورد من الالفاظ والمعرب من التراكيب ؟ وتشعبت الآراء ، فاستنام فريق الى المصطلحات الاعجمية يطعم بها لغتنا ، ولم يعدم حجة يبرر بها استنامته كالسهولة والشيوع وكثرة الدوران على الالسنة ، وخطأ مشهور خير من صواب مهجور وما الى ذلك من التعلات والتمحلات والذرائع التي يتذرع بها المتذرعون ، وما اكثرها .. !!

وفريق آخر متمسك بلغته ، محافظ الى حد التعصب اللغوي يرى ان الثروة اللفظية المعجمية واللغوية لا يقصر باعها ولا تعجز روافدها ان تمدنا بالدرر الكامنة في اعماقها ، وما علينا الا ان نزيل ما ران على وجهها من غلالات ترسبت فحجبت رداءها ، ومنعت عنها الحياة الى حين .. وكان غواصا ماهرا .. تسلح بالداب والصبر والاناة وطول البحث ، فغاص الى الاعماق .. وتوغل .. واستخرج الكوامن .. وطوع مئات الكلمات العربية السليمة الصحيحة لتقوم مقام الالفاظ الدخيلة المستوردة التي قدر لها ان تغزو لغتنا وتعيش بيننا في مشافهاتنا وفي محادثاتنا ، بل وفي ادبنا !!

بحث ونقب في بطون المعاجم والكتب وفي قصائد المخضرمين والشعراء الذين يحتج بشعرهم ، ثم استخلص واقترح .. ووضع « لبنات معجمية » لالفاظ الحضارة تكون مرجعا للكتاب ومدادا لاقلام كتاب العربية يتيح لهم ان يحدوا فيه بعض حاجتهم الى الافصاح في التسمية والوصف والتعبير .

فاثبت تيمور ان لغتنا عملاقة لا تطامن هامتها امام المخترعات والمصطلحات ، وسجل ما طوعه في معجمه الذي سماه « معجم الحضارة » بعد ان جهر بالدعوة الى استعمال هاتيك الالفاظ الفصاح وتلك الكلمات العريقة العروبة الخالصة النسب الى «يعرب» ودعا الى احيائها في احاديثنا وقصصنا وادبنا ، وردد صدى دعوته ابهاء المجمع اللغوي وارجاء كل منتدى ادبي حاضر فيه .

القاهرة — محمود بن الشريف

الشاعر علي الزيبق

بقلم محمود منقذ الهاشمي

* * *

ليت لغوابر الايام ان تعود ، ولبحار الزمان ان تجود ، فتحمل لي فوق الامواج المصطفقة ، ذلك القارب الذي اخترق الافق المتوهج الجموح ، وفيه الطفل النابغة « علي الزيبق » يقف منتصبا وقفة الشاعر لامرتين امام بحيرة (بورجيه) ، مهديا بصره الى السماء وكأنه يسامر ملائكة الالهام ، وتنفرج عن شفتيه بسمة المجد والعظمة والنبوغ . ولكن انى للامس الراحل ان يلحق بالغد القادم ، وانى للجسد الهامد ان تعود له الحياة !

لقد مات الطفل علي وعاش مكانه الشاعر العظيم علي ، ولكنه لم يمت في نفوسنا ، وانت ايتها النفس التي روعتك عبقريته ،وآنستك موهبته ، ستذكرين لنا عنه ما يبل مشاعرنا او ما عسى ان يقضي نحو أخباره لبانتنا . فاستمع الي يا صاح ، اخبرك من نبأ هذا الطفل ما يجعل اسمه مقرونا في سجل التاريخ بفيالم الرجال الذين لقبوا في حداثتهم بأطفال المعجزات وكان منهم موتسارت النمساوي وهوغو الفرنسي وليست الهنغاري والفريد ده موسيه الفرنسي ايضا . لم يكن علي الزيبق سليل اسرة شعرية كما كان موتسارت سليل أسرة موسيقية فنقول انه تأثر بأبيه او بذويه او على الاقل وجد لفرسة الشعر في نفسه التربة الخصبة لانمائها واثمارها . لكنه نشأ في حلب من اسرة كان الشعر عندها اهون من تبالة على الحجاج ! كل همها اصلاح الاله ، واملاء المعدة ، والرقاد في الفراش .ولم يسعف الحظ الطفل علي بملك مثل لويس فيليب ليمنحه المكافآت المالية ويخصص له المرتبات لكتابة الشعر كما فعل تجاه فيكتور هوغو منذ حداثته فازدهرت موهبته وأينع غرسها . ولعمري لم تحتو علي الصغير مدينة النور باريس ولم تحتضنه كما احتضنت الموسيقار الابداعي الهنغاري فرانز ليست فأغدقت عليه الاموال ، وكشفت عن مواهبه وطاقاته ، وتوجته بتقديرها فبنت له سلم المجد عاليا ليصعد عليه ، والدهر يهتف به ، وباريس تردد الحان العبقري الصغير . اجل لم يكن علي الزيبق في يوم ما هذه المدينة الخالدة التي فتقت المواهب العديدة كموهبتي فرانز ليست وموسيه الآنفين الذكر .

وهكذا فظروف نشأة الطفل علي تتباين كل التباين عن نشأة الاطفال العباقرة ، وبينما كان اولئك الاطفال يغذيهم التشجيع ، كان الطفل علي يعاني من الحرب التي شنت عليه ما لا يعلم به الا الله . يدافع عن نفسه لئلا يهوى الى الدرك الاسفل ويعاف الشعر وينخرط في معمل الآلات . فكان يكتب الشعر سرا ، وذلك منذ ان كان تلميذا في الصف الثاني الابتدائي . ولم تستطع الحملات التي تصدى لها بنفس جبارة لا تلين ، ان توقف ذلك السيل العارم المتدفق من جوانب نفسه .

وكان علي الزيبق وهو ابن الربيع الثاني عشر يختلف منذ مدة الى دار الكتب الوطنية بحلب ، فيطالع دواوين الشعر ، وينظم ولا يهمل واجباته المدرسية بل كان الى جانب كل ذلك التلميذ الملهم الناجح . وخلال مطالعاته الشعرية اعجب بشاعر العراق الفذ معروف الرصافي ، فأرسل له باقة من اشعاره الى العراق يستفسره عن آرائه فيها ويسترشده النصيحة . ولشد ما كانت دهشة الصغير عظيمة حين حمل له ساعي البريد بعد ايام رسالة من الشاعر الرصافي مؤرخة بتاريخ (١ آب ١٩٤٢) يقول له فيها « ان معاني شعره الرائعة تبشر بمستقبل له باهر في عالم الادب » . موجها له فيها بعض الاراء التي كان لها ابلغ الاثر في نفس شاعرنا .

ومنذ ذلك اليوم بدأ علي الزيبق يرتقي سلم الشهرة فبعد مدة وجيزة كتب احد المفكرين عن الحياة الادبية في حلب فذكره وأشاد بشعره وايد في قوله رأي الرصافي السالف . احدثت التفاتة المفكر ضجة كبرى في صفوف الادباء ، وتاق الكثير منهم الى ان يقرأوا شيئا من شعره ، فاذ بهم يفاجؤون بقصيدة تنشر له في مجلة الاديب (عدد نيسان ١٩٤٤ ، الجزء الرابع ، السنة الثالثة ، صفحة ٤٣) هي قصيدة «عتاب» والشاعر لما يتجاوز الرابعة عشرة من عمره بدأها بقوله:

ما بعينيك ؟. أنت اغرودة الحب المدمى ، رفيقة الاهواء
في خيال الشباب رجفة ثغر تتملاه رعشة من سناء
بهرين العيون بالخطرات البيض غب الرنو غب اللقاء
وأنا دمعة على خد حسناء ولحن مشرد الايحاء

واختتمها بقوله :

ما بعينيك ؟ ملء ثغري عتاب فاسمعيه .. ففيه بعض رجاء

فكانت الكلمة التي ترددت من معظم افواه الادباء الذين قرؤوا هذه القصيدة هي : (تالله لقد رأينا منك اكثر مما سمعنا عنك).

وليت شعري ما ابلغ تلك الكلمات الساحرة ، تنبعث من الحنايا الشاعرة ، ويسجلها يراع فتى صغير ، غضة انامله ، حارة مدامعه ، نبيلة مقاصده ، طليقة خواطره ، يسمو بالجمال ويتوق الوصال ، وله خيال مديد ، والفاظ رخيمة الالحان ، بديعة الالوان ، نقية من الشوائب ، سالمة من التعقيد. ستبقى هذه القصيدة خالدة ما شاء لها الله الخلود ، كما خلدت اوبريت « باستيان وباستيين »لموتسارت وهو الذي وضعها في سن يقارب سن علي الزيبق حين وضع قصيدة «عتاب» . وبعد عتاب..وبعد العلم الجديد الذي رفرف في سماء الشعر .. وابان حيرة الشعراء ، دخل صبي يافع ناحل ضئيل الحجم، يرتدي البنطال القصير الى قيم المكتبة في دار الكتب الوطنية بحلب يطلب منه جمهورية افلاطون ، وبيده هويته المدرسية وايصال كتب عليه اسمه واسم الكتاب الذي يطلبه ، فقال له قيم المكتبة :

ـ لا يوجد هذا الكتاب .

ـ بل يوجد ! ولقد قرأت اسمه في الفهرس .

ترى من هو هذا الطفل ؟.. وما لهذه العين اللجوج تجذبني لصراعي التساؤل ؟.. من ذا الذي سيقرأ جمهورية افلاطون ؟ قام الرجل من مكانه ودنا من الطفل واخذ يتملاه ثم امسك بالهوية ليقرأ اسمه ، وما كاد يتبين انه علي الزيبق حتى اضطربت حواسه وقال له ملجلجا :

ـ أ ..أ.. أأنت صاحب عتاب ..التي.. الاديب ..

ـ نعم هو انا .

فانتفض الرجل انتفاضة الرجل الظافر وقال لعلي :

ـ اجل ، الكتاب موجود ، هيا معي .

وامسك بالصبي من يده وقاده الى غرفة قعد بها الشاعر الكبير المجدد عمر ابو ريشه ، وقال لابي ريشة نشوان مغتبطا : « ها هو الفتى الشاعر الذي كنت عنه مفتشا ، وبه معجبا » .

ومرت السنون فأخرج الشاعر علي الزيبق مجموعته الشعرية الاولى « سامبا » ثم فاجأنا بعد اعوام بالمجموعة الثانية « النبعة اليتيمة » وهو الان على وشك ان يتحفنا بمجموعته الشعرية الثالثة « الوتر الذبيح » . وسأقتصر في حديثي الان عن شعره على «النبعة اليتيمة » التي ارى بها ـ لسعة حجمها ـ مادة أخصب للحديث من سابقتها « سامبا » التي لا تقل عنها روعة وجمالا . واول شيء سأذكره في هذا الحديث هو عن علي الزيبق محطم الاصنام . ولتحطيم الاصنام تاريخ وادوار ، كما لنظم القريض تاريخ وادوار ، واهم هذه الادوار هي اربعة :

١ ـ حين قام الاسلام وهدم الاصنام التي كان الناس يعبدونها من دون الله ، لينشر الهدى والنور ، دين الله والسماء وليعيد للفكر البشري نقاوته . فانبعثت الامة العربية من جديد ، ووجد فيها المفكر العظيم ، والعالم الرشيد ، والكاتب البليغ والفنان المبدع والشاعر الملهم والفيلسوف الحكيم . واخذت الدنيا تردد اسم الخليفة العادل عمر بن الخطاب والامام علي والرازي وابن سينا والكندي وابن الهيثم وابن فضة وابن جني وابن خلدن .

٢ ـ استبشرت اوربا التي كانت تعايش الظلام من العلماءوالفلاسفة العرب واليونان واخذت تستيقظ وتستفيد من علومهم في شتى ظروف الحياة . على انه سرعان ما تبدل الحال ، وانتقل الاوروبيون من طور الاستفادة الى طور العبادة ، واصبح ابن سينا وأرسطو يسيطران على عقولهم ، فلا يقبل قول ما لم يكن منقولا عن احدهما ولا تصح نظرية ما لم تتفق مع نظرياتهما ولا يقال عن امرىء انه متعلم او عالم ما لم يكن علمه من علمهما .وبذلك تبلدت الاذهن وتجمدت الحركة الفكرية في اوروبا قرونا عديدة ، الى ان قام في اوروبا طبيب وعالم كيميائي سويسري يدعى باراسيليوس (١٤٩٣ ـ ١٥٤١) فحطم صنم ابن سينا وأعلن عن علومه وآرائه بكل جرأة واحرق قانون ابن سينا امام الاشهاد، فكان ذلك بداية الانعتاق العلمي في اوروبا .

٣ ـ اما الدور الثالث فهو حين قام الفيلسوف والرياضي الفرنسي رينيه ديكارت (١٥٩٦ ـ ١٦٥٠) بانتهاجه المناهج الحديثة في الفلسفة وتهديمه صنم ارسطو بأن وطأ بنعل حذائه كتب ارسطو امام اعين عباده. فكانت منذ ديكارت بداية الانعتاق الفلسفي والتحرر الفكري .

٤ ـ اما الدور الرابع فيتمثل بالانقلاب الادبي الذي احدثه الشاعر الفرنسي فيكتور هوغو (١٨٠٢ ـ ١٨٨٥) حين حطم صنم الكلاسيكية الذي ظل عشاق الادب يعبدونه منذ مئات السنين ولكنه لم يحرق كتابا ولم يطأ مؤلفا فالزمن يتغير ، بل حطم الصنم بمسرحيته الشعرية الابداعية « هرناني » وبمقدمة كروميل .

استعرضت معك الادوار الاربعة الرئيسية في التاريخ لتحطيم الاصنام ، ولا ريب اننا لاحظنا معا ان الصنم يتطور مع مرور الزمان كما ان طريقة تحطيمه تختلف من زمن الى زمن . ولكن ما دور الشاعر علي الزيبق في ذلك وما هو الصنم الذي حطمه ؟ لهذا الموضوع اصول تجب مراجعتها قبل اي شيء ، حيث ما زال الى الان فريق يعد الغالبية العظمى من المثقفين ، قعد عن طلاب المجد والترقي ، وصار ولا هم له الا تعظيم السابق والتسبيح بحمده والاكتفاء بعزه والتغني بفضله . وجعل اكثر الشبان المثقفين من المقاهي ودور اللهو امكنة للاعزاز والتبجيل ولم يدركوا ان اجدادنا لم يفلحوا في مسعاهم لولا الجد والدأب والتجديد المستمر وليس بارتياد المقاهي والتسكع في الشارع !! وليسمع الشباب معي قول عامر بن الطفيل عسى ان يجلو الغشاوة عن أعينهم ويهديهم طريق الصلاح :

انا وان كرمت اوائلنا   لسنا على الاحساب نتكل
نبني كما كانت اوائلنا   تبني ونفعل مثلما فعلوا

وكان في هذا الفريق من الشباب والشيوخ من اذا اشتد به الاعظام والاجلال لعبقري راحل راح يقلده وينسج على منواله. فأصبح مجدنا كالصنم الذي سيقعدنا عن التقدم والنهوض . ولهذا هب الشاعر علي الزيبق لتحطيم الصنم ، فضربه بفأس شعره الضربة الاولى التي تمثلت بقصيدته « مجدنا » ومنها هذه الابيات :

حياتنا قحط .. وما نزرع   يحصده نسياننا المبدع
تجنح النجوى بأوجاعنا   وفي مقابر الدجى نطمع
نحن الذين لا حنايا لنا   نهوى بها ، ولا غد مترع
في دننا ندفن احلامنا   وفي زوايا المرتجى نقبع
ومجدنا ؟ خرافة مجدنا ..   فنحن في محرابه ركع !

هذه القصيدة هي فاتحة النبعة اليتيمة ، والضربة الاولى لصنم الماضي ، والتي تدل على سمو الشاعر وابداعه ولباقته في توجيه الضربة! اما الضربات الاخرى فقد تمثلت في اشعاره الجديدة بمضامينها واشكالها ، وفي كتابه النفيس «التجديد في الشعر العربي» الذي اعتبره اهم موسوعة ادبية تكتب في عصرنا الحديث . اما عن بقية اشعار النبعة اليتيمة فقد وصفها الدكتور سامي الدهان احسن الوصف اذ قال : « ما أكاد المسها بعيني حتى تحملني على اجنحتها الى سماوات بعيدة فيها اليأس والبؤس ، والصراع والنضال ، تعج بالدمع والدخان والجوى والاوجاع والشكوى والضجر ، وتضج بالموسيقا والصور الدافئة، واللثم والعناق واللهب.» ولكم انصف الدكتور سامي حين لم يغف في سياق وصفه لشعر علي الزيبق صفة البهجة احيانا والسعادة احيانا اخرى ، او تلك المعاني الباشة المرحة التي تخرج الميلاة عن عزلتها ، والواجد المعذب عن كربه وشجونه!! فالنبعة اليتيمة تخلو ـ او تكاد ـ من تلك المعاني السعيدة ، وتقتصر على ما ذكرته من اقوال الدكتور سامي الدهان عنها . ونكاد نجد الشاعر الزيبق في هذه المجموعة الشعرية يأكله القحط والجفاف فتتكرر هذه الكلمات وشبيهاتها في العديد من قصائده ، ونسمعه في قصيدة « عنفوان » يصرخ الصرخات العنيدة التي تدل على مقدار ما يكابده الشاعر :

وأنا .. تمضغ الجفاف عروقي   وعيوني مزروعة في الرماد
أين ؟ أين السلوان ؟ لا وتر يروي   حنيني .. والشوك والرمل زادي
ايه يا كبرياء ! حملتني ارث   ابي مؤمل الامجاد
بصراعي حققت ذاتي ، وحققت   غرام البواسل الاجواد
فاخرسي يا زوابع القحط ،ما عمري   ضياع في حانة أو ناد !

والقصيدة هذه طويلة ولكنني آثرت ان انتقي منها هذه الابيات والبقية في الاصل.وحين يلتقي علي الزيبق بمحبوبته يزول عنه الجفاف ويناديها بقوله (يا جدول حسي) كقصيدته «لقاء» التي مطلعها :

مطر الحب واخصابي بجفنيك   النبيذيين يا جدول حسي
أي شلال خرافي تصبين   بصمت العطر في اغوار حدسي !

ولا ريب ان النبعة اليتيمة تحتوي على اشعار عديدة املاها علي الزيبق خزائن نفسه ومودوعات فؤاده ، فأتت تارة كالمتحف وتحفه ، وتارة اخرى كالمعرض وفروعه ، ووردت احيانا كالبحر ومكنوناته ، واحيانا اخرى كالروض ونباتاته . ولم يختلف اثنان الى الان في ان الشاعر علي الزيبق شاعر مجيد مجدد واصيل .. ولكن ما هو خليق باهتمامنا الان هو آخر ما كتب عن الشاعر علي الزيبق في مقالة نشرت بمجلة الاديب (عدد ديسمبر ١٩٦٥ صفحة ٥٠) لصديقنا الاستاذ حسين راجي جركس ، طالما ان موضوع البحث جديد من نوعه يبين اوجه الشبه بين علي الزيبق وتسانكو ملادينوف الشاعر البلغاري المعاصر .

واول ما يتحدث عنه الاستاذ حسين جركس هو عن مدرسة الشاعر ويقول انه من الانطباعيين ويماثل بينه وبين رسامي اواخر القرن الماضي من امثال رينوار Pierre August Renoir (١٨٤١ ـ ١٩١٩) ومونيه Claude Monet (١٨٤٠ ـ ١٩٢٦) ، وديكا Edgar Degas (١٨٣٤ ـ ١٩١٧) . وهؤلاء الرسامون الثلاثة هم من زعماء المدرسة الانطباعية في فرنسا والعالم . وعلى الرغم من ان ثمة التباسات بسيطة قد توقع الناقد في خطأ معرفة مدرسة الشاعر علي الزيبق ، الا انني أخالف الاستاذ جركس كل المخالفة في وضعه علي الزيبق بين الانطباعيين ، وارفض القول ان شعاره « على الفنان ان يسجل هذا الذي يراه ، وكما هو يراه بالذات ». فعلي الزيبق بعيد كل البعد عن الانطباع الذي هو رهن التأثر السريع ، والشاعر الزيبق لا يعكس ذلك الذي يراه بعد ان يمزج مشاعره المنفعلة ازاء المشهد في الوقت الذي يتلذذ برؤيته . ولو عدنا لعام ١٨٦٢ ودخلنا مرسم شارل كلير ـ وهو رسام فرنسي من اصل سويسري معتدل القيمة الفنية ـ ونظرنا الى التلامذة الذين انشأوا فيما بعد المدرسة الانطباعية ، لرأينا شابا من بينهم هو رينوار يقبع في احد اركان المرسم وقد اتى اليه

مشهد بحري

الضباب البحري ينفجر على مهل .
والزورق بخطى وانية ينام في المرفأ
النسيم الواطىء يرصع قبور الوطنيين
فيمـا مضى ،
كنت احب الصيادين الذين يحلمون بالسرطان
والحسك والحراشف المفضضة .

بالشباك التي تغطس وتعوم مملوءة بالقواقع .
بالزعانف التي تشق احلام الموج الازرق الفاتح .
يا سمك القرش المدبج بالدهن الابيض .

ان فقراء مدينتنا الهابطة ينقلون اليك تمنياتهم
رائحة المجاذيف والملح المكسر والزبد تجتذبهم
انهـم يتطلعـون بحذر .
الحشائش البحرية تعرش ببراءة على
الشطآن النائيـه .

لحمك الطري كالاسفنـج ،
يزهر بعيدا عن ضوضاء الرجولة .
هروبك يهددهم بمجاعة مفسخة
والبؤس يزركش خيمته في مكان مجلد .
الصياد يتربص بصبر ليصطادك حتما .
وانت تسبح متهورا كشاب مائع .
قـاع الصحراء بعيد جدا ،
والبحر الوسيع يبقع الارض .
سيغزك عاجلا بالحربة المحدبة كمنقار الموت .
لا محار في الشبكة .
الشبكة قطعهـا المد الهائج .
الصياد يشدد الحصار ولحمك يسطع كالبرد .
حجمك يتطور ... يتطور ...
الشمع يميع كدهن القفمة الشمس
القطب الشمالي يشرق في الاسفل .
فيما مضى كنت احب القطب الشمالي .
لكـن شمسه سقطت في البحر كاجاصة
والثلج يتوائب في الذهن بـلا ضجة ،
بـلا ضجـة ،
بـلا ضجـة ...

دمشق — صالح درويش

المعلم شارل كلير لينبهه الى ناحية هامة في نظره قائلا : « ان المرء لا يرسم من اجل متعته .»

أتدري بماذا اجابه رينوار حينئذ ؟ لقد قال كلمته المأثورة : « اذا لم تكن بالرسم من متعة لي ، فهيهات ان ارسم شيئا بعد اليوم ! » .

وكل فن رينوار بل كل فن الانطباعيين مرتكز في هذه الاجابـة . واذا كان لنا ان نقول عن بعض ادبائنا انهم انطباعيون فأمامنا المنفلوطي الذي اراه المثال الامثل لانه كان ينظر الى ما حوله فيصفه وهو في حالة التأثر السطحي ليشبع غاية المتعة واللذة فنقول : انه انطباعي . وهنالك في الشعر امامنا شوقي والبحتري خير مثالين على الشعراء الانطباعيين في ادبنا العربي اما علي الزيبق فهو ليس كشارل كلير الذي يعتبـر الفن واجبا له اصول يجب التمسك بها فلا يحيد عن مبادىء الفنانين الاتباعيين من امثال انغر Ingres (١٧٨٠ ـ ١٨٦٧) او الرسـام العظيم دافيد او رفائيل او من اليهم او الى الاتباعية بسبيل . وهـو ليس كرينوار الذي يسجل من اجل لذته ومتعته فقط ، بل انه يحقق بكتابته الشعر غاية طبيعية شان الشجرة التي تثمر والريح التي تعصف والشمس التي تدفىء والمياه التي تنساب والام التي تنجب الاطفال . فككل هؤلاء يكتب علي الزيبق الشعر البليغ المنبعث من الاعماق ، والذي يمتزج به الماضي والحاضر والمستقبل في الحان ترافق بعضها البعض وتمتزج بها المناظر الداخلية بالمناظر الخارجية ، بالافكار الحرة ، بالالم والبغض والحب والاعجاب ، والنشوة والتفاؤل والياس ، وما لا حاجة لحصره ، فشعره بالموسيقى المتطورة اشبه ، تلك التي تتحقق فيهـا الهرمونية armonie الموفقة ، والكنترابنط Contrepoint المؤثر والانسجـام البديـع .

اما عن المقارنة بينه وبين تسانكو ملادينوف فالمقارنة غريبة الشكل: فهي ليست مقارنة بين شخصيتي شاعرين ، او مذهبهما او اسلوبهما ، ولكنها مقارنة بين ثلاثة قصائد لكل شاعر ! وليت هذه القصائد قد أتت في معرض الاستشهاد ، لكنها اتت مترادفة اذ يقول الاستاذ جركس : « يقول علي الزيبق ..ويقول ملادينوف .. ويقول علي الزيبق ..ويقول ملادينوف .. وعندما يقول علي الزيبق .. يجيبه ملادينوف » ثم يختتم المقالـة قائـلا : « لا شك انه الانسان الواحد في كل مكان فوق هذا الكوكب !!» . اما عن التشابه بين القصيدتين الاولى والثانية فانـه يكاد ينعدم لولا بضعة كلمات مشتركة (الخيال ـ وفي خيالي ، يتيـم المظهر ـ غريب المظهر). اما القصيدة الثالثة لكلي الشاعرين فالتشابه ابرز لكنه مع ذلك تشابه ظاهري مختلف تمام الاختلاف في الجوهر . ومع ذلك فاني اطالب الاستاذ حسين راجي جركس بكتابة اسم الكتاب الذي نقل منه القصائد الثلاثة للشاعر البلغاري وذكر تاريخ نشـره للقصائد الثلاثة فيما اذا كانلا بد من العثور على بعض اوجه الشبهبينهما.

وهكذا نلاحظ ان الكثيرين قد اهتموا بشعر علي الزيبق وكتبـوا عنه وكان منهم فيما عدا من ذكرنا الاديب الصحفي عبد الوهاب فتـال الذي يقول « انه شاعر طالما غنانا على المنابر احاسيسه وعواطفه التي كانت تعبر عن واقع مجتمعنا وماضي امتنا وحاضرها ومستقبلها المجيد » وقال الشاعر الكبير احمد الصافي النجفي صيف عام ١٩٥٨ في اجتماع تم في ربوة دمشق بحضور الشاعر مصطفى بدوي : « لقد صدقت نبوة الرصافي فيك » .. وقام الدكتور سامي الدهان يدعو الى مطالعة النبعة اليتيمة التي اخذ بها لموسيقى لفظها الرائع ، وبديع تصويرها ومجنح تعبيرها بقوله : « وللقراء ان يرتلوا ما بين الدفتين لينتهوا معي الـى اكبار الشاعر والثناء على خطاه الملهمة ، وليهنئوا معنا آلهة الشعر بابن جديد يرفع لها منارا ويضيف الى قيثارها اوتارا .» اما انا فأضيف على هذه الاقوال ان الشاعر علي الزيبق هو احد اولئك برهنوا على ما للغة العربية من مواهب في التطور والعمق والبلاغة والشمول .

حلب — محمود منقذ الهاشمي

شعر البحر

بقلم الدكتور فؤاد جبور حداد

من « العروة الوثقى » في لندن

*

هناك حقبة قصيرة في التاريخ كانت فيها غالبية الجزر في البحر الابيض المتوسط تحت الحكم العربي . لهذا كان الشاعر في هذه الفترة يتنقل بالسفينة من جزيرة الى اخرى للزيارة او للمدح او لطلب العلم ولم تطل هذهالحقبة ولعل مدتها لم تزد على مدة حياةابن حمديس .وتستهويني هذه الفترة لطرافتها الخاصة اذ فيها استبدل الشاعر العربي صحراءه التقليدية واستعاض عنها بالبحر وترك الناقة والحصان والقافلة وحث المطي وسوق الابل واخذ يتنقل بالسفينة ويصف الامواج والعواصف البحرية ، وهكذا في عشية وضحاها تغير الجو المحيط بالشاعر العربي تغييرا تاما فدخلت معاني جديدة وجاءت صور لم تكن معروفة من قبل .

يعتبر ابن دراج القسطلي (٣٤٧ ـ ٤٢١ هـ) من اقدر شعراء الاندلس . وقد ركب مرة ابن دراج البحر الى خيران العامري صاحب المرية سنة ٤٠٧ هـ مع اهله وبنيه فوصف سيره والاهوال التي لاقاها في البحر ومن قوله في هذا الخصوص :

اليك شحنا الفلك تهوي كانها ،   وقد ذعرت،من مغرب الشمس غربان
على لجج خضر اذا هبت الصبا   ترامى بنا فيها ثبير وثهلان
اذا غيض ماء البحر منها مددته   بدمع عيون تمتريهن اشجان
أقول وموج البحر والهم والدجى   تموج بنا ، فيها عيون وآذان
الا هل الى الدنيا تعاد وهل لنا   سوى البحر قبر او سوى الماء اكفان
وهبنا راينا معلم الارض هل لنا   من الارضمأوى او من الانس عرفان

واما الشاعر الاندلسي يحي بن حكم الجياني الملقب بالغزال (١٥٦ ـ ٢٥٠ هـ) فقد ذهب ايام عبد الرحمن الحكم الى بلاد المجوس في سفارة خاصة ويقال في رواية انه ذهب الى الدنمرك وفي اخرى الى بلاد النورمان وقد جاء متقدما عن تلك الحقبة التي اشرت اليها آنفا . ولعله اول من وصف عاصفة في البحر فقال :

قال لي يحي وصرنا   بين موج كالجبال
وتولتنا رياح   من دبور وشمال
شقت القلعين وانبتت   عرى تلك الحبال
وتمطى ملك الموت   الينا عن حيال
فراينا الموت راي العين   حالا بعد حال
لم يكن للقوم فينا   يا صديقي راسمال .

اما شعر البحر عند ابن حمديس فهو شعر كثير ولهذا سأقتصر في اختياري منه على الشعر الذي تعرض فيه لمواضيع جديدة .

قال ابن حمديس يرثي «جوهرة» وهي جارية له ماتت غريقة في المركب الذي عطب به في خروجه من الاندلس الى افريقية :

أماتك البحر ذو التيار من حسد   لما درى الدر من حاسدا ثفرك
اقول للبحر اذ أغشيته نظري   ما كدر العيش الا شربها كدرك
هلا كففت اجاجا منك عن أشر   من ثغر لمياء لولا ضعفها أسرك
هلا نظرت الى تفتير مقلتها   اني لاعجب منه كيف ما سحرك
ان كان اسلمك المضطر عن قدر   فلم يخنك على حال ولا غدرك
هل كان الا غريقا رافعا يده   نهاه عن شرب كأس من بها أمرك
وما نجوت بنفسي عنك راغبة   وانما مد عمري قاصر عمرك

ولعل ابن حمديس هو اول من وصف المعاركالبحرية وهنا يصف معركة جربة ويوجه كلامه الى ابن يحي فيقول:

لامر أدمت الحصر في حرب «جربة»   وما حربها الا مداومة الحصر
بسير جيوش في البحور اليهم   تحيط بهم زحفا مع المد والجزر
مجردة بيض الحتوف خوافقا   بها العذبات الحمر فياللجج الخضر
فلما رأوا ان المخنق منهم   سددت به مجرى التنفسفي الصدر
انابوا وتابوا عن ذنوب تقدمت   بزعمهم من قطعهم سبل البحر
فان نشروا ما بينهم لك طاعة   وقد طويت منهم صدور على غدر
فعندك نار تركب الماء نحوهم   لها زند يقدحن من زند بتر

ويصف ابن حمديس كيف كانت الاساطيل العربية تقذف النفط لحرق سفن العدو :

وبحربية لها نفط حرب   يحرق الماء تارة باضطرام
ترتمي في ملونات لبود   كرياض نورن فوق أكمام
فهي تجلو عرائس الموت سودا   هولت في عباب أخضر طام
يا لها من جحافل زاحفات   بضواري الاسود في الآجام
وذبال على القنا مشعلات   مطفئات الارواح في الاجسام

ويصف ابن قلاقس الاسكندري رحلته الى صقلية سنة ٥٦٣ هـ فيذكر مدنها وتنقله بينها في قصيدة طويلة منها :

ثم استقلت بي على علاتها   مجنونة سحبت على مجنون
هوجاء تقسم ـ والرياح تقودها ـ   بالنون أنا من طعام النون
حتى اذا ما البحر ابدته الصبا   ذا وجنة بالموج ذات غضون
القت به النكباء راحة عائث   قلبت ظهور مشاهد لبطون
وتكلفت سرقوسة بأماننا   في ملجأ للخائفين أمين

وتروي كتب الادب ان اسطول صاحب صقلية قد اسر احد بني رواحه مع عصبة من رفاقه فوقف امام آسره وانشد :

ايا ملكا جالت اساطيل جيشه   فأعظمت القتلى واكثرت الاسرى
واجريتها في لجة الماء اذ جرى   فأسكرته جريا واجريتها بحرا
وكنا لما تجري المقادير عصبة   ركبنا به والموج يخطفنا ذعرا
وجاءت من الاسطول طير مسفة   احاطت بنا من كل ناحية قسرا
فقمنا اليه ثائرين لدفعه   نغالبه قهرا فعالجنا قهرا

وكان الشاعر الميورقي ابو جعفر البني شاعرا مستهترا في حياته فنفاه ناصر الدولة من جزيرة ميورقة ولما اقلعت السفينة في البحر ثلاثة اميال نشأت ريح ردته فلم يتجاسر احد من اخوانه على زيارته فكتب اليهم :

احبتنا الاولى عنتوا علينا   فاقصونا وقد ازف الوداع
لقد كنتم لنا جذلا وانا   فما بالعيش بعدكم انتفاع
اقول وقد صدرنا بعد يوم   اشوق في السفينة ام نزاع

الانتقام .. لا

بعد ماذا جئتني تطلب ودا — بعد ان ارهقتني نايا وصدا
بعــد ان أتعبتنـــي — بعـــد ان عذبتنـــي
، ويأس الامس لن اعطيك ودي
لك صدي .. لك صدي..لك صدي

ليست القسوة قصدي — مثلما طاف ببالـك
لا ، وليس الثأر ، فادفع — كل هذا عن خيالك
انها الرحمة ، الاشـ — ـفاق ما يدعو لذلك
كل ما أبغيه ان تشـ — رب نفس الكاس مثلي
كل ما أرجوه ان تطـ — ـعم يوما بعض ذلي
ربما يهواك .. يوما — عاشق غر سواي
عندها تدرك مقدا — ر أساه ، وأساي
سوف تدري أي حزن — عاصف يسعى اليـه
نفس ما عانيت من حز — ن ، فهل تقسو عليه
لم يعد عندي ما اعـ — ـطيه غير التجربه
بعد يأس ، أنت قد هيـ — ـات لي ان أشربـه
لم يعد في طاقة القلـ — ـب احتمال للغرام !
كيف بالثأر ، اذن — لا ، ليس قصدي الانتقام

شبين القناطر ــ ج٠ع٠م — عبد المنعم عواد يوسف

اذا طارت بنا حامت عليكم — كأن قلوبنا فيها شراع

وثمة امثال كثيرة تظهر كيف ان الشاعر العربي في تلك الفترة قد خلف الصحراء وراءه تماما واصبح البحر ملعبه والسفينة مركبه فهذا ابن حمديس مثلا يقول :

أمطتك همتك العزيمة فاركب — لا تلقين عصاك دون المطلب

وهو يقصد بكلمة « اركب » أي اركب السفينةوليس الابل او الجياد ويظهر هذا المعنى من الابيات التي تلي :

فاطو العجاج بكل يعملة بها — عوم السفينة في سراب السبسب
فالماء ياجن في القرارة راكدا — فاذا علتك قذاته فتسرب
شرق لتجلو عن ضيائك ظلمة — فالشمس يمرض نورها بالمغرب

ودخلت الصور المأخوذة من البحر في الامثال والابيات القليلة . قال ابن مكي وهو من شعراء صقلية :

من كان منفردا في ذا الزمان فقد — نجا من الذل والاحزان والقلق
تزوجنا كركوب البحر ثم اذا — صرنا الى ولد صرنا الى الفرق

وقال ابن حمديس عن نفسه :

اصبحت مثل السيف أبلى غمده — طول اعتقال نجاده بالمنكب

ان يعله صدأ فكم من صفحة — مصقولة للماء تحت الطحلب

في تلك الفترة من التاريخ احس العرب بان البحر لم يعد بالنسبة لهم شيئا مرعبا فتغلبوا على خوفهم الفريزي منه واصبحوا يجوبونه بثقة واطمئنان . ولكن لسوء الحظ لم تطل تلك المدة وما لبث ذلك الخوف القديم المتأصل الجذور ان عاد من جديد وتقلص سلطان العرب على البحار . فهذا ابن حمديس يقول في اواخر ايامه ويروى هذان البيتان للرئيس ابن سينا ايضا :

لا أركب البحر خوفا — علي منه المعاطب
طين انا وهو ماء — والطين في الماء ذائب

ولما طلب المعتمد بن عباد ان يأتي اليه ابو العرب الصقلي عن طريق البحر اجابه الشاعر :

البحر للروم لا تجري السفين به — الا على غرر والبر للعرب

وبذلك انتهت فترة طريفةمن تاريخنا وتاريخ شعرنا .

لندن — فؤاد جبور حداد

انا واثقة من انه سيأتي .. حدسي لا يخطىء ، وقلقي وخوفي لن يعيقا وصوله ... سيأتي ، متألقا بالشباب والرجولة ، بشفتيه الباسمتين وعينيه النافذتين ، بكل الثقة والحياة التي فيه، بكل حبه الصارم غير المتزعزع.

افر ! ابكي !؟ مـا جدوى هذا ؟ انه بالباب ! رنة واحدة من الجرس، قصيرة وخفيفة ، **كرفة الفراشة** ، كلطفه وحزمه ، انه هو .

أافتح انا !؟ لا ... فـررت ، اختبأت ، تحيرت ، ملكني الدوار.. لكنه هو ! اادع غيري يفتح !؟ غيري يصب عينيه في عينيه !؟ غيري لن يستشف روحه .. سيخيب امله ، حبيبي، سيجرح جرحا بالغا ،سيضيع.

وانسللت افتح ، بهدوء وحذر .. ماذا كان يمكن ان يحدث لي لو لم يكن هو ؟ اما كان قلبي كف عـن الخفقان ، اما كنت هرمت ؟..

عيناي لا تريان الا عينيه ، اساه يذبح قلبي ، وحبه الحي يخجلني ، يجعلني احس بالضآلة والصغارة والدناءة ...

لكم احبه ، ولكم يطغى علي وجوده ! تقدمت خطوة الى الخارج ، لكم ارغب في ضمه ، في تقبيله ، في الذوبان فيه ، في اسماعه الكلمات التي يحبها ، لكم ارغب في مداراته والحنو عليه ، ولكم ارغب في بذل ذاتي فداء لهناءته !؟ ميتة انا بدونه.

مال راسه ، التمعت عيناه ، انفرجت شفتاه .. انه يرحمني ، يشملني برجولته ، معدنه معدن الابطال وحبه نور الشمس ، من انا تجاهه !؟ وبكيت ..واشار بالدخول فدخلت .. شلال زاخر هو ، فليتني الزبد الحي من اعتماله .

تنهدت ، مسحت دموعي، يتبعني بصمت ، رحت اصلح هندامي في غرفتي وانضم هو الى الاخرين ،امي واخوتي .

اصواتهم المرحبة به فتتت احشائي، انكفأت الى سرير انتحب ، مرارة تخنقني ، تذكرت اياما من الحب والدمع ، اياما من الترقب والوجد « دموعك يا حبيبتي امانة في عنقي احفظها الى الابد ، يذهب الكل وهي عندي باقية . »

وجاءت امي تضمني ، تقبلني ، كفكفت دموعي وبكت :

ـ قد جاء ...

ونظرت الي بتوسل ، هي ايضا تثق بانه رجل يأتي ، رجل لا ينسى ، رجل فوق الرجال . وانهضتني فقبلتها ، اويمكنني ان افعل غير هذا !؟ الم اتعلم منه ؟ انه ليسوءه مني الا اغفر ، وقالت وهي تشرق :

ـ انها ارادة الله يا بنتي،ارادةالله.

واساءت كلماتها الى الصدق والبراءة والحق ...



بقلم فيليب عبد الحق

ـ ارادة الله تقولين !؟ من قال لك هذا ؟..

لكنني ما لبثت ان اسلمتها راسي.. ما كانت يوما لتريد غير سعادتي ، وان اخطأت السبيل .

ـ اذهبي يا ابنتي ، اجلسي معه .. اذهبي .

أانا احتاج لقول كهذا ؟! اانا احتاج لدفع !؟ بلى ، انني امامه مكشوفة ، معراة ، يعرفني كما يعرف ذاته ، كيف اكون معه ؟ كيف !؟ اخاف فهمه لتعاستي ، لا اخاف شماتته ، بل اساه .. اسى الرجل المكتمل الذي يرى الحياة مأساة



يجب ان تعاش . انني اعرفه ، لم يحاول يوما ان ينسى انسانيته ومصيره ، انه عقدة محال حلها ! لم يكن كباقي الشبان ، ولم يكن في متناولي آنذاك ، بين ما هو جيد فيه وما هو سيء ، لم استطع المفاضلة ، نعم لم اتمكن من اعطائه حقه ، ضعت انا ، وفتحت عيني لارى نفسي حيث لا اريد ان اكون ، ضعت انا فأمهلني! أي خطأ في هذا !؟ خطأ بالنسبة الي، ليته قادني من اذني وحطمني ، من اذني اللتين يحبهما!كتم غيظه وصبر، ربماكان شيطاني قام يجربه، اما كان عليه ان يقضي على شيطاني ؟ اهكذا يدعني مسلمة لاعصار التجربة ، الا يمد يده !؟ تنحى عن طريقي انا حبيبته، تنحى، واظنه وقف يتفرج! ايتفرج الاب وابنه يمزقه عسكر متوحش !؟ انا حبيبته ! من ينكر هذا ؟ املائكة السماء ام ابالسة الارض ؟.

لكنه قالها ، فبكيت ولعنته ،«لقد اخترت مصيرك فدعيني لمصيري .» واغلق الباب ، جدران قاسية وعقيمة لاول مرة اقيمت بيني وبين الحياة ، اسبوع عشته كمجنونة ، مصيره ؟! وما مصيره دون مصيري !؟ اي سقف سيظلله ؟ في اي مجلس سيكون ، اي امرأة ستلفه ؟ حبيبي هو ، ريحه اتنسم كيفما هبت الريح ..

يبدو انه يهم بالانصراف ! ايا حمق هو !؟ اصوات امي واخوتي تلح عليه بالبقاء ، بالله ايذهب !؟

ركض قلبي،اما رجلاي فبطيئتان، ثقيلتان ... الكل وقوف .. وساد صمت . نظرته فيها سؤال وندامة « هل اسأت اليك ؟ لقد آلمتك ! ليتني ما جئت ..» بل اشكر الله حبيبي لانك جئت ..

وجلست ، فنظر حوله ، وجلس ، وانفرجت شفتاه وفهمت :

ـ ارجو ان تكوني بخير .

ـ اطرقت وفكرت ! نعم ، انا الان بخير .

ـ وفهمت : هكذا اريدك ، انها

قصتنا

معبود قلبي والهوى معبد ... أنا راهب فيه .. فمن يجحد ؟
شرفاته الخضراء ضاجعها ... قلب المعنى والهوى الامرد !
في ردهة المحراب خطوته ... من وقعها ..نيساننا عنقد..

عيناك جمعتنا بشطيها .. ... وبمرفأيها زورقي المجهد
شفتاك خمرتها ورابية ... مخضرة ندیانة المرقد
فالنجم متكأ لغرفتنا .. ... والفجر حارس بابها الموصد..

يا قلبي المضنى لبعدهما ... يا صبحها ليل النوى أسود
ما زال بي جوع وبي ظمأ ... جوع الهوى والشوق لا ينفد !
طعم العنا عذب على شفتي ... والسهد..ما أحلاه ان أسهد..
يا سائلي في الحب .. قصتنا ... أسطورة...فيموسم العسجد..

القاهرة ... فتحي سعيد

ايام مفروضة .

ـ وفكرت : في فلسفتك عزاء لك على ما يبدو ؟

ـ وفهمت : انها واقع نعيشه يا حبيبتي .

ـ وفكرت : زمان طويل مضى ، لم اسمعها منك .

ـ وفهمت: اذن ، انت قد نسيتني.

ـ وفكرت : نسيتك !؟ اتجرؤ ؟

ـ وفهمت : لن استغرب ، لن الومك .

ـ وفكرت : انت تكذب . عزاؤك ايضا ثقتك بحبي .

وانسحبت امي وانسحب اخوتي، انهم لا يفهمون لغتنا ، وارتجفت، تمنيت ان يضمني وخشيت . وجمد فكري ثم قلت :

ـ انني غير سعيدة في بيروت.. هي مدينة لا أحبها .

فتمتم وفي صوته رنة غضب : ـ لكنك كنت تحبينها ، كثيرا ما لهجت باسمها ، اتذكرين ؟

ـ لقد خدعت ، لقد خدعوني .

ـ هذه مصيبتنا .

ـ بل مصيبتي وحدي .

ـ حسبك ، لا تتكلمي .

وابتسمت في سري ، انه هو ، هذا الآمر الناهي الغضوب ، لم يتغير . ومرت في خاطري صور غامضة لنساء كثيرات ، فتجهمت ، والتقت عيناي بعينيه فأشحت وقد غاضت دمائي وسربلني الهزال ، ووجدت نفسي اقول : الا تريد ان تراه ؟..

ـ اراه !؟ نعم .. اراه .

وقام بحركة تعني : اذا كان لا بد من هذا .

فقمت اتكلف المرح . وجئت به في عربته واختي تتبعني ، كان نائما طفلي الصغير .. ولم يتحرك هو من مجلسه،كان ينظر الى العربةو وجهه قطعة نحاس ، وقلت : هذا هو .

نهض وتقدم ينتصب فوقه ، يمعن النظر .

ـ الا تحمله ؟ خذه بين يديك ، خذه .

ـ لا .. لا داعي لذلك .

وبعد صمت قال : متى تكلمت ؟ منذ شهر أليس كذلك .

واجبت دون دراية : نعم . منذ شهر .

فانبرت اختي تجهر : منذ شهر !؟ ما بكما !؟ منذ سنة .. منذ سنة .

وارتعدت وعبر طرفي على شخصه : أقلت منذ شهر ؟

لم يجب ، الا ان هالة من اللطف والحنو كست محياه .. وانحنى على العربة . ـ اتسمحين ؟.. سأقبل يده .

صحت : لا .. لا .

وكأن موجة عارمة تغمرني وتقطع انفاسي ! لكنه لم يأبه ، امسك بيد طفلي وقبلها .

ـ اقبل يده الان .. وغدا ، عندما يكبر ، اقبلها ايضا .

ـ انت ! لماذا ؟ هو الذي سيقبل يدك .

ـ لا بل انا ، انا ، لانني اعزه كثيرا واوده .

وابتسمت ابتسامة فيها لحن النحيب وتداعيت جالسة .

ودع الجميع ، اما انا فبقيت مكومة في مكاني ، لم امد يدي اليه ولم انظر.حبيبي هو ، في كل كياني يا الله ، لماذا يذهب ؟ لماذا لا يبقى معي ، لماذا !؟.

طرابلس ... فيليب عبد الحق



اميــل توفيــق

صور وانطباعات من رحلاتي في السودان

بقلـم اميل توفيق

* * *

٣ ـ بورسودان والنشاط الترويحي

مـن الرحلات الترويحيـة .. رحلة بحرية قمنا بها مع بعض الاصدقاء . ركبنا زورقا بخاريا يلفت النظر بقاعه المصنوع من الزجاج السميك . ومن احدى المراسي في الميناء خرجنا الى عرض البحر وتوجهنا نحـو منطقـة لا ترسو او تقترب عندها البواخر . ومن خـلال الزجـاج شاهدنا مختلف انواع المحار والقواقع والاسماك التـي تتباين اشكالها واحجامها والوانها ، تتحرك في كـل الاتجاهات فتستقر او تسبح صاعدة او هابطة او منحرفة فوق الصخور الطباشيرية او بين الاخاديـد المرجانيـة وشعبها . وهذه تتميز ايضا بالوانها المختلفة من الاحمر القاني الى الازرق الفاتح او السماوي الـى الاخضر او البنفسجي . وكانت تتخلل تلك الصخور الكائنات النباتية الخضراء الفاقعة او الحمراء الداكنة . منظر بديع حقـا يسبح بحمد المبدع الخلاق تعالى في علاه !! ولقد كان مما يسحرك ويسلب لبك ان ترى السمكة الواحدة تجمـع مزيجا من الالوان . ان اضواء الشمس التي تقع عليها خلال الوسط المائي ، تنعكس وتنكسر فترتد الى عين الرائـي فتبهره من فرط ما ينسكب بعضها على البعض الاخـر انسكاب قطرات المياه . ان الكائنات جميعها تشعرك انها سعيدة منسجمة متآلفة مستمتعة بالحركـة الحيـة .. بالدغدغات .. والهدهدات .. والتيارات وسط الهدوء الحي ، لمستعمرتها الجميلة القابعة تحت سطح الماء .

وثمة رحلة ترويحية اخرى قمنا بها برا الى «اربعات المياه » وتبعد حوالي ساعتين من بورسودان ، لمناسبـة انتهاء العام الدراسي ١٩٦٢ . كان حشدنا هذه المرة في اوتوبيس الوزارة ، الذي اقلنا خارج المدينة عبر الصحراء الممتدة ، والتي تحيط بها تلال من الصخـور الناريـة ، وكانت تقابلنا بين الحين والاخر تجمعات صغيرة او مراكز للرعي حيث تنبثق المياه من آبار جوفية ، وحول كل منها يرعى الرعاة ابلهم واغنامهم .

وكانت لهيئتنا طابع دولي يطعم الطابع السوداني .. فهناك المصريون والسوريون والهنود والانجليز ومن هنا فان كرم الزملاء السودانيين كان يفيض بالحفاوة نحـو زملائهم . وعندما وصلنا الى المنطقة القريبة من محطـة المياه ، بين جبلين ، حططنا الرحال ، وبسطنا الاغطية ، واستندنا الى الصخور ، ودار المسجل بالاغنيات السودانية وموسيقاها الراقصة . وعلى بعد منا كان الاعرابي المختص قد ذبح الشاة المسكينة ، واعد مع زملائه العدة لتجهيز الغذاء على موقد الفحم والزلط والحصى ـ بالطريقـة الجبلية الرعوية العتيـدة .

كان الصبح مشرقا والجو ربيعيا وقد امتلأت المنطقة ببعض مجموعات الرحلات الطلابية وكنا نحتمي بالظـلال التي تبسطها التلال من فوقنا . ثم اختلفنا الى مجموعات تنسجم كل منها في نوع من انواع النشاط الترويحي . وأخذ بعض الطلبة يتسلقون التلال وكان من المناظر المدهشة أن ترى هؤلاء المتسلقين فوق قمة التل وقد مرت من فوق هاماتهم السحب وكأنما قد غطتها ملاءات ناصعة البياض .

وبعد ان شاهدنا عملية سحب المياه وضخها مـن مركز المحطة الكائن فوق درج عال ، كان قد حان موعـد الغداء ، وهواء الربيع الجاف ، في تلك المنطقة العالية ، قد حمل معه الى انوفنا ادخنة الفحم والشواء . وفـي الغداء قدمت الينا اطعمة سودانية بحتة اهمها « السلاه » وهو لحم قدد على شكل شرائح فوق الحصى المسخن ، ثم قلب حتى انسلى تماما من دهنه ، وقطع اجزاء صغيرة تقدم في الصحاف . وأكلة اخرى تسمى « القرار » (بضم القاف) واحسب انه اللحم الذي يقدد بعد ان تحشى بـه امعاء الشاة . ثم « أم فتفت » وهي أكلـة سودانية قوامها الكبدة النيئة والكلى وعليها مزيج من الليمون وعصـارة الحوصلة ثم اكلة « الكمونية » وهي طبخة من اللحم مـع المرق المصنوع من الطماطم والمواد الحارقة .

وكانت فترتنا الترويحية ممتعة حقا ، وبخاصة بما أثيرت خلالها من مناقشات . وكان اهم ما اثير في نظري هو تلك المناقشات التي لها علاقة بالوجود وبالطبيعة .

نحن هنا بين جبلين . وجها لوجه امام الطبيعـة . وحياة متناهية في البساطة . ترى ما الذي يحركنا ويبعث فينا حب الكشف عن المجهول ؟ أهو شيء طبيعي تثيـره الطبيعة في أعماقنا ؟ أم هو شيء اكتسبناه من ثقافتنا ؟

عنفوان

أتعتب ؟.. ما اطهر العتـ ـب ينبع من مهجة شاعره
وتسألني عن حروفي التي تزغرد في اضلعي ثائره
كتمت الحروف وخبأتها وأطفأت جذوتها الساعره
دفنت ليالي الهوى في الصقيع وشيعت أحلامي الغابره
ولكن جراح الهوى لم تزل تأجج في مهجتي ناغره

اما تسمع القلب في احرفي كئيب المقاطع لا يخفق ؟
يوقع ألحان جرحي ، لظى يظل سخي الدما يدفق
ويروي الى الناس مأساته ولا من يجيب ولا يشفق ؟
ومأساة روحي ان جراحي صا متة النزف لا تنطق
سدى ايها القلب خل الاسى فما في البرية من يرفق

شموخك يا قلب لا يلتقي مع الحب في عالم واحد
لقد انزلوا الحب من شامخ وحطوا الكرامة من صاعد
أولئك من يعبدون التراب يخرون للصنم الجامد
يضحون بالطهر ، بالكبرياء لصدر رخيص الهوى ، ناهد

وغن الحياة بلحن أبي ... كريم المقاطع والعنفوان
وصب اللهيب على عالم تغوص محاجره في الهوان
وخل اناشيدهم في الضباب تصعد في الارض مثل الدخان
نشيدك يا قلب ، صوت الحياة تدفق كالنور عبر الزمان
يضيء الدروب ، يواسي الورى ويمسح أحزانهم بالحنان

القدس **راضي صدوق**

الانسان يقاوم الطبيعة . يحاربها . يذلل مصاعبها . يرود مناهلها . يروض ضراوتها لصالحه . انه يريد السيطرة عليها . ولكنه على قدر ما يبغي السيطرة ، يسعى ايضا في نفس الوقت ليتوحد مع الطبيعة .. ينطلق اليها ليندمج في وحداتها الكلية . ليرتبط بها . ليحقق ذاتيته معها . ليصبح جزءا من اجزائها المتكاملة .

اتجاهان متناقضان في الانسان . السيطرة على الطبيعة ، والاندماج في الطبيعة . والانسان يحل هذا التناقض بالطريقة الوحيدة . بالانتاج والابتكار . بالايجابية بالابداع . فالطبيعة حقا تستأثر باهتمام الانسان .. اعني الانسان الذي يريد حقا الحياة . وكلما ازداد عنصر المغامرة وازدادت الامكانيات الثقافية ، ازدادت وتنوعت صور الاهتمام او صور الانتاج والابداع . بالكشف عند الرحالة . والدرس والبحث عند العلماء . والتشييد والاستقلال والاستثمار عند رجال الاعمال . وبالاندماج والحب او المتعة والتعبير عند الرومانسيين والشعراء والموسيقيين .

ان الانسان والطبيعة ، والانسان والتاريخ هما محورا الوجود الانساني . حركة الانسان في مجتمعه . وحركته في الطبيعة يؤلفان الشعور الحق بالوجود .

ان ظاهرة الخروج الى الطبيعة ، لظاهرة جديرة بالتسجيل والاعجاب بالنسبة الى كثير من الشباب السوداني والشباب اليوناني في المدينة . فهناك في بورسودان اماكن على الشاطىء ـ مثل الكيلوثمانية او فلمنجو ـ قد أعدت لكي تستقبل الجماعات المختلفة من ذوي الروح الشبابية الذين ينطلقون في المناسبات العديدة او في العطلات لكي يستروحوا نسمات البحر ، او لكي يمارسوا صيد السمك ، او السباحة ، او الالعاب الرياضية الطريفة . وقد سمحت البلدية باقامة الكابينات او الشاليهات في هذه الاماكن ومن ثم فقد جعلتها مصيفا ومشتى في نفس الوقت .

شبين الكوم ـ ج٠ع٠م **اميل توفيق**



التربيـــــة المتجـــددة

دراسة تربوية ، سيكولوجية ، فلسفية ـ تاليف الدكتور حنا غالب ـ ٥٠٠ صفحة تقريبا ـ مطبعة عيتاني الجديدة ببيروت

« التربية المتجددة» تسمية حارة العصب ، مواكبة لمفهوم الحياة في جريها الذي لا يتوقف . بها يرد العالم المربي الدكتور في الفلسفة «حنا غالب» على اولئك الذين يعتبرون ان التربية ، او شتى الاساليب الاخرى الهادفة الى تطوير الانسان ، وتصعيد شؤونه ، نوع من الخطوط التوجيهية ، والانمائية يرسمها فيلسوف ، او مرّب ، او مصلح اجتماعي في عصر من العصور ، ثم تبقى هذه المراسيم دستورا لا يحول ولا يزول للجنس البشري ، فكأن التربية عندهم نوع من التحجير في قوالب ، والتجميد في الماضي ، وغل الايدي والاقدام عن السعي ، والعيون عن التطلع .

ان قضايا الكائن الحي جميعها من ايمان ، وفكر ، من شكل ومحتوى ، من زمان ومكان زحفة مستمرة ، لا تلتفت الى وراء ، ولا تتوقف . تدور حول نفسها ، وحول الاكوان شان الافلاك ، شان الجسم البشري ذاته .

الى أين ؟ الى حيث تدفعها اشواقها من الداخل ، واقدارها من حولها ، نحو مصير مجهول من جانب ، نلمح بعض شعاعه في ضباب الآفاق من آخر ، فتنهمر جريا لترتمي في احضانه الفردوسية ، او تنهار هلعا من عدمه الازرق .

التربية كما يشير المؤلف العالم موضوع « الفرد في مجتمعه » وكاني به يرمي بدلالة بعيدة الغاية الى انها ايضا تفحص المراحل التي يمر بها ذلك الفرد ، وتصوير الآفاق التي يخفق فيها جناحا التربية لا تقف عند هذين الحدين ، انها اطار عام لرسم ملامح الوجود الذاتي ، ثم هي اعداد شامل لمجراه في الكون ، حسب مدلول فعل ربا يربو من جهة اللغة،فالزيادةالتي تعنيها هذه الكلمة مبنيةعلى تربة مناخ،وتعهد.

جمع كتاب «التربية المتجددة» الى جهود مؤلفه الشخصية على مدى تمرسه باعداد الناشئة تعليما ، وتوجيها ، وتربيــة ، بين دار المعلمين والمعلمات ، والجامعة اللبنانية ، في سنوات طويلة ، نظرات كبار المربين في التاريخ القديم والمعاصر ، غير متخلف عن تناول خطرات المفكرين العرب كابن خلدون وابن عبدون وسواهما ، مثلما لمّ به خلاصة ابحاث مفكري الحضارة الحديثة ، والقديمة .

لم يقصر الدكتور غالب بحثه على التمادي في اطار التربية المتجددة ، منطلقا من اسس المجتمع ، والفلسفة بابحاثها المتنوعة ، وركائز التربية الراسخة علميا ، بل تناول قضية المصطلحات العلمية التربوية . وعالج بلبلتها بروح المربي ، العالم ، الدقيق فيلولوجيا ، البصير بمرامي كل مصطلح ، ببصر الفنان ، وحسابية المنطقي .

« ان المصطلحات العلمية ، صور رمزية لفظية ، لواقع الحقيقة الخارجية ، وليست مجرد رموز شكلية اصطلاحية اسمية .»

«لا يمكن ان تؤدي لفظة «النقش» الحجري الآلي ، معنى التفاعل الناشط المتجدد الذي تؤديه لفظتا «التنظيم والتدميج» .

لذلك عمد المؤلف الجليل الى الاشارة المنهجية في مؤلفه الى الاصطلاح التدويني ، والمصطلح العلمي ، جريا على القواعد الحديثة لفن تاليف الكتب ، دقيقا في تسجيل الفهارس دقة يحمد عليها وذلك فيما يتعلق بمراجعه الكثيرة الدالة على سعة اطلاعه ، ومدى خبرته ، الا ان لنا على مؤلفه ماخذين كان في مكنته ان يتجافى عنهما ، بصدد الفهارس ، هما خلط اسماء الموضوعات ، باسماء الاعلام ، واثبات المرجع واسم مؤلفه وطبعته في اسفل كل صفحة ، مما اشغل حيزا من المكان ، والزمان ، وكان الاجدر ان يثبت ذلك في آخر الكتاب ، وان يدل عليه دلالة موجزة في اسفل كـل صفحـة .

يقع كتاب «التربية المتجددة» في عشرة فصول ، وفيما يقارب الخمسماية صفحة ، وهذا يعد توطئة لكتاب آخر سيصدر قريبا .

يعالج المؤلف في الفصل الاول أهمية التجدد في التربية ، عارضا قضايا الاختلاف التعريفي للتربية ، واصنافها ، وطبيعة اركانها .

« ان الكون اجمع وما فيه من كائنات في تطور دائم ، ولا يمكن اعتباره في حالة سكون وتجمد ».

« ان النظام ، والاتحاد ، والاستمرار (في الكون) مفاهيم اختلقها الانسان كما اختلق الفهارس ودوائر المعارف .»

ان بعض احكامنا العلمية ، غير تامة ، بل هي عرضة للتغير ، كل شيء يتحرك ، يسير، وكل تحرك لا تعرف نتائجه قبل ان يحدث بكليته. «ان الكون اجمع في تحول ، وتجدد ناشىء ، وتطور بازغ Energent Evolition وان هذا التطور يتخلل كل ما فيه ، ممتدا من أعظم اجرامه الى قلوب العناصر التي تؤلف الاجسام ، فالى قلوب الذرات نفسها. » « حتى ان الجسم العضوي ، أي المتالف من اعضاء قد يصير واحدا من عدة كائنات ممكنة ، فالجزء الذي كان مرتقبا ان يصير في جسم دودة ذنبا ، قد حول فعلا الى رأس قام بكل وظائف الرأس ، كذلك امكن تحويل الحمام الى دجاج ، والدجاج الى حمام ، مثلما يمكن تحويل حيوان اليابسة الى حيوان ماء .»

من هنا ، وعلى مثل هذا الاساس العلمي التجريبي يقرر كتاب «التربية المتجددة» :

« ان مصير الاشخاص افرادا وجماعات ، يمكن تحويله وتغييره الى حد بعيد ، بتغيير الاحوال والظروف والاختراعات ، والاكتشافات، وبزيادة المعرفـة ونشرهـا .»

« يتضح مما تقدم ان الجمود ليس بموجود حتى في الجوامد ، ولا التحجر حتى في الاحجار.»

ويدرس في الفصل الثاني احد اركان التربية الهام الا وهو الركن الفلسفي ، ممسكا بايدينا لنقوم معه برحلة ماتعة الاراجيح ، وارفة النسائم ، كانه فنان يسلخنا عن واقعنا ، مقدما لنا في الوقت ذاته تعاريف الفلسفة ، وصلتها بالتربية، جاريا في جدول رحلته الى الفصل الثالث حيث الركن الاجتماعي ، عارضا مختلف النظريات الاجتماعية في التربية من متطرفة وديموقراطية ، ومقدار تكيف الفرد في وسطه الاجتماعي ، وتكييف هذا المجتمع للفرد ، ملتفتا الى الفروق والروابط بين العقل والنفس او الانا ، او الاياي ، هذه السيارات التي تدور في افلاك الذات ، والبيت ، والمجتمع ، والمدرسة ، والكون ، والمبدع. ثم يسأل في الفصل الرابع هل يمكن ان تتلاقى اهداف المربين توصلا الى الاكمل والاجمل؟ محاولا رسم الطرق المختلفة وتعبيدها لذلك التلاقي الهادف الى تطوير الانسان وتصعيده .

ويصل في الفصل الخامس من الرحلة الى ادق بحوثه المستفيضة، مثلما يصل المؤلف السمفوني الى قمة التوحيد ، بتنغيمه شتيت الاصوات

في وحدة جمالية رائعة متناولا تطور العقل والفلسفة العقلية ، مرورا بالثالوث اليوناني الجبار : سقراط ، افلاطون ، ارسطو ، الى ده كارت ، فسيكولوجيي الحضارة الحديثة من طراز فرويد ، ونت ، بيني، غلتن ، هول وسواهم ، منعما البصر في تنامي نظريات السيكولوجيا وأثر بعض العلوم فيها ، كنظرية النشوء والارتقاء ، والفيسلوجيا ، والفيزياء،واثبا بترابط محكم الى دراسةالتامل الباطني واغوارهالبعيدة.

ثم يتدرج مؤلفنا في غزل افكاره ونسجها حول علم النفس المكون وعلم النفس النامي ، وتطور الولد ، وبلوغه ، وتوازن قوى النفس ، مبينا اثر البيئة والوراثة، وتوازن قوى النفس ، وتفاعل جو البيت والوراثة ، واستعداد التلميذ للتعلم ، هذه هي أهم ابحاث الفصل السادس ، وفي السابع يدخل المؤلف في جو الطفل قبل السادسة ، اي المرحلة المدرسية الاولى ، دارسا انفعالاته الذاتية ، وازاء الآخرين، وخصوصياته الجسدية والعقلية ، ثم المرحلة المراهقية وما يتازم فيها من اشياء النوع ، والاصطدام بالوجود .

وبعد ذلك يتناول مذاهب المتعلم السيكولوجية المختلفة ، وما يترتب على التعلم والتعليم من محاصيل ، وما يتفاعل من دوافع ، ختاما دراسته الهامة التي تعد في الحلقات الاولى الذهبية ، من سلسلة رواد التربية في لبنان والعالم العربي.

بهذا نكون عارفين ، معرفين بهذا الاثر التربوي الدراسي النفيس، معلنين تجاوز المؤلف الفاضل امكانياتنا في هذا الحقل ، الذي اختص فيه ، عابرين جسر المقارنة بين مخلفات ، ديوي ، ومل ، وروسو ، ولوساني ، وسواهم من اساطين السيكولوجيا والتربية ، مقتصرين على رحلة ثنائية نادرة مع المؤلف الجليل الدكتور حنا غالب محرورين لموعد آخر قريب مع مؤلفه التالي .

علي شلق

●

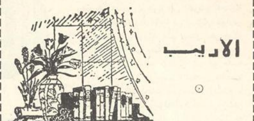
الريحاني ومعاصروه : رسائل الادباء اليه

جمعها وحققها وقدم لها البرت الريحاني ـ ٣٧٨ صفحة ـ منشورات دار الريحاني للطباعة والنشر ببيروت

بعد ان قام البرت الريحاني عام ١٩٥٩ بنشر رسائل شقيقه امين الريحاني وزادنا بذلك علما بحياة هذا الرجل النابغة ـ عمد هذا العام الى نشر مجموعة كبيرة من الرسائل التي تلقاها امين الريحاني خلال الفترة ١٩١٠ ـ ١٩٤٠ . وبنشر هذه الرسائل تكتمل الوسائل الضرورية لمن اراد التوافر على دراسة الريحاني وأدبه وحياته . ولا تعطينا هذه الرسائل فكرة عن الريحاني وعلاقاته بمعاصريه فحسب ، ولكنها كذلك تعطينا فكرة عن الحياة في تلك الحقبة ، عن صراع المفكرين في سبيل الحرية وعن صراعهم مع بعضهم البعض ـ أحيانا ـ في سبيل الآراء التي يعتنقونها والمبادىء التي يدينون بها .

يجد القارىء في هذه المجموعة اشتاتا من الافكار والاساليبالادبية والمناهج الفكرية .. يجد فيها الحب والوفاء الى جانب الحقد والبغضاء. يجد فيها لمحات عن الصداقات الحميمة التي عقدها الريحاني مع معاصريه ، كما يجد احيانا نماذج من قدح البعض فيه واتهامهم له . وبينما تجد اكثر من كتبوا اليه يكيلون المديح له والاعجاب به ويرفعونه الى السماكين تعظيما وتقديرا ، ترى البعض الاخر يهبطون به الى ادنى المراتب فينتقدونه النقد المرير ويتهمونه بالتعالي والتعصب وقلة الادب وسوء الضمير وانه يكتب للحصول على الامجاد ويسير على طريقة خالف لتعرف . وفي هذه الرسائل نجد نموذجا للخصومات الادبية التي آثارها الريحاني بسبب اعتناقه مبدأ « الحقيقة والحرية » الذي اعتنقه والمبدأ

الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

●

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ المنزل ٢٢٥١٣٩

Tel : Dir : 223819 Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

الآخر الذي سار عليه « قل كلمتك وامش » . وخير مثال على ذلك رسالة مخائيل نعيمة اليه ردا على رسالة كان الريحاني قد بعث بها لنعيمة عام ١٩٣٤ يلومه على المطاعن التي وجهها لصديقه الراحل جبران خليل جبران . ويبدو لنا ان نعيمة غضب وثار لرسالة الريحاني فرد عليه قائلا : ان جبران كان يكره الريحاني ويمقته طوال السنوات العشر الاخيرة من حياته ، وان جبران هاجم الريحاني بعصاه ذات ليلة «فوق رأسك ولو لم يتداركه بعض الحاضرين لما كنت اليوم في عداد الاحياء». ثم يتهم الريحاني بانه في الواقع لم يكن يحفل بأدب جبران ، وانه وصف يوما ما ذلك الادب بانه مقزز كريه المذاق وانه عاطفة مائعة تتصنع الرقة . ثم خلص الى نتيجة مؤداها ان الريحاني بدل موقفه من جبران بعد وفاته ، ووصف تصرف الريحاني في هذا الشأن بانه « قحة خالعة العذار ». ويبدو لي ان تلك الرسالة كانت بداية قطيعة بين الرجلين اذ لم تكن هناك رسائل من نعيمة للريحاني بعدها ولا من الريحاني لنعيمة ، كما ان نعيمة لم يشترك في مهرجان الريحاني الذي اقيم في بيروت في الخريف الفائت (١٩٦٥) .

على ان معظم الرسائل تعبق بامتداح الريحاني والاشادة بأدبه وشجاعته وتفتح ذهنه ومناصرته للحرية والحقيقة . فهذا شبل دموس يقول انه قرأ ترجمة رباعيات ابي العلاء المعري خمس مرات، وهذا احمد زكي باشا الذي كان يلقب بشيخ العروبة يقول ان كتاب « ملوك العرب» يعتبر مفخرة للعبقرية العربية ، وهذا المستشرق الالماني الكونت مولينون يقول عن الكتاب ذاته « حقا اقول اني لست اعرف اوروبيا يحوي كل الصفات المجموعة في شخصك : انها تجعل من كتابك آية من الايات البارزة في الادب ». ومستشرق آخر يقول ايضا « لم ار كتابا اكمل واحسن وانفع وابدع منه وهو يفوق كل ما كتب الى الان في هذا المضمون » .

يبدو في هذه الرسائل نبأ جانب من الجهاد الوطني لامين الريحاني. فهذا الامير شكيب ارسلان يكتب اليه فيصفه بانه مفخرة لبنان وسورية والشرق ، ويقول انه وقف قلمه ولسانه على خدمة الحقيقة وصيانة الحق وبانه امين الامة العربية وريحاني روحها و « ان هذا الماروني عمل للعرب ما لم يعمله احد من العرب. وانه سعى بقدمه فضلا عما كتب بقلمه في هذا الموضوع قبلي وقبل كل عربي ، ووضع في ادمغة العرب بزرة الوحدة العربية ». وهذا حسين العويني يكتب للريحاني من جدة في السعودية فيقول له ان الامير عادل ارسلان « تكلم وتكلم عن الريحاني الماروني النصراني وعن اعماله في اميركا وما احدثه من تأثير في انكلترا واوروبا والشرق في سبيل العرب اولا واخيرا . وقال لابن سعود لقد خدمك الريحاني وخدم قضيتك اكثر من كل من خدمك... فالامير معجب بالريحاني اعجابا خارق الحد ومحب للريحاني حبا لا يوصف . وقد سررت والله جدا من هذا لاني شخصيا احب الامير فأحب منه ان يحب من احب وقد أحب». وهذا امين الحسيني يثني على جهوده في سبيل القضية الفلسطينية ثم يقول « انتم الذين كرستم شطرا كبيرا من حياتكم في سبيل خدمة القضية العربية منذ اول ادوارها في داخل البلاد وخارجها وصرفتم جهودا شاقة من اجل افهام الغرب مطالب العرب». ثم يدعوه للذهاب الى اميركا في وفد عربي لتفنيد المزاعم الصهيونية . وعندما تطلب سلطات الانتداب الفرنسية الى الريحاني ان يغادر لبنان يدعوه امين الحسيني للاقامة في فلسطين . ويذهب اسعاف النشاشيبي الى مدى ابعد فيدعو الريحاني الى ترك لبنان قائلا « مقامك يا شيخ حيث انت قاعد هو اساءة الى عربيتك ، وانما منزلك اليوم في الدنيا مدينتان لا ثالث لهما : مكة الرياض او بغداد » وكان ذلك سنة ١٩٣٣ ... ومثل هذا كثير.

في هذه المجموعة الفريدة لمحات ترصد بعض جوانب النشاط الادبي والفكري . فهذه مي زيادة تكتب عام ١٩١٦ « ظهر منذ اسابيع كتاب بحث في شخصية ابي العلاء المعري للدكتور طه حسين وهو شاب كفيف ذو ذكاء وقاد ومعارف واسعة ». وقبل ذلك يكتب له سعيد ابو جمرة عام ١٩٠٤ عن ظهور كتاب «طبائع الاستبداد» للكواكبي ويقترح ترجمته الى الانجليزية . ونفهم ان الريحاني استفاد من كتاب محمد كرد علي « خطط الشام » في وضع كتابه «النكبات» .

من من ابناء جيلنا سمع بالشاعر انيس جريج ؟. في هذه الرسائل نجد أنيسا المذكور يكتب للريحاني في ١٩١٧ قائلا انه فرغ من نظم قصيدته الكبرى الثانية المؤلفة من الف بيت وبيت على قافية واحدة « وهي جامعة بين الفلسفة ومبادىء اقطابها ومتناقضاتها ومتوارداتها وبين الامور التاريخية والاجتماعية والسياسية واللاهوتية .» ثم يسجل ابياتا منها فيها امتداح وقدح بالريحاني وجبران. وهذا احدهم يكتب للريحاني ان ايليا ابو ماضي يرغب في السفر الى العراق ليكون فيها شاعر الملك وملك الشعراء ، على حد قوله .واني لاتساءل : ترى لو قيض لابو ماضي تحقيق هذه الرغبة ، أكنا نحظى بما أبدع فيما بعد ١٩٢٢ من تلك الروائع الانسانية التي نظمها على سجيته ؟

في رسائل مي زيادة الى الريحاني ادب فيه من الرقة والسحر والحلاوة ما يشبه العسل المصفى.وفي بعض الرسائل المتأخرة اعتراف بما كان للريحاني من جهود في سبيل انقاذها من المحنة التي ألمت بها يوم ارسلت الى العصفورية وحجر على مالها واتهمت بالجنون . وفي رسالة من الشيخ عبد القادر المغربي نموذج رفيع لآداب المناقشة بالمنطق والروح العلمي . فقد نشر الريحاني مقالة اشار فيها الى التواكل والاتكال على الايات الدينية القائلة بان الله يرزق الانسان . ومما جاء في رسالة المغربي قوله : « أحسبك قد رأيت مسألة التوكل فرصة انتهزتها لاعلان انك لم تسلم بعد . نعم لم تسلم ، فلتطمئن عجائز الفريكة ورهابين لبنان !! ولكن ألست عربيا؟ الست تفاخر بنبي العرب وبأمجاد العرب كما يفاخر قومك العرب بك ؟ الست داخلا في خطاب منزل القرآن للعرب (لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم) اي فخركم

وشرفكم ايها العرب ؟.. وبعد ، فاذا لم يتح لنا ان نفاخر بك مسلما فاننا نفاخر بك بانك عربي ». ثم ناقش المغربي مقالة الريحاني عن طريق البرهان المحسوس مخاطبا اياه بالاخ والحبيب ، دون فورة غضب او سورة حنق ، متخذا له عذرا في مقالته من شدة غيرته على المسلمين وفرط تاثره لحالة الاتكاليين منهم في نفسه ، ذاهبا الى ان آيات القرآن الحاضة على العمل وجر النفع تحدد وتطوق الآيات المشعرة بعدم فائدة العمل . واني لاتساءل اليوم وبعد مرور اكثر من اربعين عاما على تلك المناقشة ، كيف يمكن ان تناقش مقالة مثل مقالة الريحاني لو نشرت في ايامنا هذه ؟ الا تقوم قيامة الكثيرين فوق راسه ليتهموه بالعمالة والقصد السيء والتخريب والكفر والبغضاء للعرب والمسلمين؟ ثم أيجد العاقل في جو محموم ضحل العواطف كهذا مدخلا للعقل والمنطق والقصد الحسن وأخذ الامر على وجهه السمح المتسامح ؟اجل، انني اتساءل باخلاص .

ولا يعدم القارىء ان يجد معينا غزيرا للتامل في اختلاف اساليب اولئك الذين كتبوا رسائلهم للريحاني ، فبينما اكتفى كثيرون بمخاطبته بالاساليب العادية ، عمد آخرون الى اطلاق الالقاب المختلفة عليه : بعضهم اطلق عليه لقب افندي والبعض اطلق عليه لقب بك ، وهاك نموذجا : الاستاذ الكامل والفيلسوف الفاضل ، الوطني الكبير العامل ، العبقري ، الفيلسوف الاكبر لقرن العشرين الكاتب الاجتماعي والحر الغيور .. الخ.

وانك لتجد في الرسائل فكاهات ادبية وطرائف ذهنية ممتعة . فهذا نعوم مكرزل يكتب له قائلا : « ان لم تكف عن ذكر الاصلاح والتنقيح والتثقيل وغير ذلك فانني انظم لك قرادية يكون مطلعها :

بحياة غليون الخياط ولسانه ذاك الخراط
لا تراجعني بالاغلاط يما بحيك بالمخياط

وهذه قافية مضحكة لا سيما اذا قلنا « دقون وضر .. ط » . وكان مكرزل هذا يصدر في المهجر جريدة الهدى الوطنية . وهذافيلكس فارس يكتب له قائلا « اقبلك مليون مرة يا امين والعن دينك كذلك اذا لم تثبت لي انك آدمي ». ويكتب له شبلي الملاط ويظهر انه كان معلم مدرسة فيقول في آخر رسالته « انتهى الان وقت التدريس فدق الجرس فوقفت عن الزيادة لئلا يتغير الحبر الذي قدمه لي احد التلامذة لاكتب به اليك ». اما الدكتور شبلي شميل الذي كان رديء الخط كما يظهر، فقد كتب في حاشية رسالة له : « لا تؤاخذني على هذه الخرطشة وما ذلك الا لازيدك فضلا في حل رموزها » وعذر الشميل ان اكثرالدكاترة الاطباء يكتبون بخط سقيم . وهذا فليكس فارس يكتب في رسالة اخرى بعيد زواجه وزواج الريحاني «انا مرتاح مع امرأتي لانني عرفتها منذ ٨ سنوات وكان عمرها ١١ سنة فوضعتها بالمدرسة وعلمتها ثم لحظت انها تعلقت بي فاشفقت على نفسي من كسر قلبها وهكذا تزوجت . اخبرني انت كيف نزل القضاء عليك ». اما شيخ العروبة احمد زكي فيكتب للريحاني مهددا بانه سيغزوه في الفريكة زائرا « فخذ اهبتك وعزز حاميتك واستنجد جندك وحكومتك فكل ذلك لا يفيدك شيئا وقد انذرتك » . ثم يطلب منه ان يرسل نسخا من كتاب له الى بعض الاصدقاء ويقول « فاصدع يا أمين بما تؤمر ، والا ابصرت آية جديدة تفوق آية يوشع المسلمين ، المعروف عند المسيحيين والاسرائيليين باسم يشوع، يهوه ، يعين ، هوشع ، يهوشع فاعلم يا امام المثقفين ويا شيخ المؤمنين ان المسلم الكائن في بلاد الاسلام قادر باسم مهندس الكون الاعظم على تغيير الفصول بحيث يجعل الربيع في تشرين الثاني ثم يهجم عليك وعلى ناديك وواديك بجنود لا قبل لكم بها ، وحينئذ تندم ولات ساعة مندم ... » .

كثيرون كانوا يكتبون للريحاني يطلبون اليه ان يقرظ كتبهم او يكتب مقدمات لها . وقد راينا في رسائله كيف كان يصد بعضهم دون هوادة مصارحا اياهم برداءة انتاجهم ، ولكنه لم يكن يتردد في الاشادة بما يجد فيه شرارة الاجادة والابداع. مثال ذلك اعجابه بمسرحية «مفترق الطريق » لبشر فارس وكذلك بكتاب حسين فوزي « سندباد عصري » الذي كتب للريحاني يشكو ما لقيه كتابه من بعض الكتاب في مصر ويقول « اما ان اؤنب لتهجمي على مظاهر الفلاكة الشرقية وضيق الذهن والتعصب وروح الذل والاستعباد ، فهذا مما لا يشرف امة تدعي النهضة وتطالب بتزعم الشرق ».

ويا حبذا لو ان بعض الادباء الجهابذة المعاصرين يقرأون ما كتبه محمد حسين آل كاشف الغطاء للريحاني وهو يهدي اليه كتابه « الدين والاسلام » ويطلب اليه ان يقول كلمة فيه « قدمته اليك لتتكرم فتكون به حفيا وتنقده نقدا صرفيا ، فلا تدع فيه عيبا الا ابديته ولا غشا الا محصته ولا عوارا الا كشفته . وبذلك تكون عندي صديقا صادقا واخا كريما وكاتبا حرا . ولا شك انكم سوف تجدون فيه مجالا واسعا للنظر والنقد فيكون ذلك ادعى لمسرتي ». ثم يقدم له كتابا آخر فيقول «ولست التمس ان تجمع لي حروف الاطراء والثناء مما يسمونه التقريظ وانما الذي يبعث اليك مني موفرات الشكران تقول فيه ما له وما عليه وتدلني على محاسنه ومساويه وأعد كلا الامرين فضلا منك ومعروفا . ولعل من يدل على العثرات مع سلامة الضمير ولطف التعبير اكثر فضلا من المادح المطري او المشين المزري».واتساءل هنا مرة اخرى : كم من كتاب هذه الايام من يشكر لك عنايتك باطلاعه على هفواته ، وكم منهم من لا يقول لك ـ تصريحا او تلميحا ـ لقد ظلمني الآخرون بسكوتهم الناشىء عن الحسد فهيا نبه الغافلين والشانئين الى ما في كتابي من محاسن ودرر وابداع .

من هذه الرسائل نفهم ان الريحاني وقع في سهو يقع فيه بعض الكتاب المعاصرين ، فقد ارسل الى المقتطف مقالة بعنوان « ربيع الياس» فنشرت ثم عاد يرسلها بعد عام ونصف العام فرد عليه صروف معتذرا.

وخلاصة القول ان هذه المجموعة اشبه ما تكون بالحديقة الغناء فيها فواكه وثمار مختلفة بعضها احلى من السكر وبعضها اكثر حدة من الفلفل والجنزبيل . والفضل لالبرت الريحاني الذي احتفظ بهذه الرسائل ثم نشرها للناس وعرضها للنور ، بكل ما فيها من متعة ذهنية وفائدة عقلية وبكل ما فيها من نقاء الارض البكر وعذرية الطبيعة التي لم تشوهها ايدي الصناعة والرياء . ولئن قام بواجبه نحو اخيه ،فقد قام بواجبه كذلك للقراء المهتمين بدراسة امين الريحاني .فجزاه الله خيرا .

عمان ـ الاردن سليمان موسى

ترانيـــم الليـــــل

ديوان علي الجندي ـ تقديم الدكتور شوقي ضيف ـ ٣٤٤ صفحة ـ منشورات دار المعارف بمصر

هذا ديوان جديد للشاعر الكبير علي الجندي الشاعر المصري العربي الاسلامي، اقول ذلك حتى احدد من أتحدث عنه ، فقد عرف بهذا الاسم كتاب وشعراء اخرون . اما شاعرنا فهو ذلك المجلي الذي ما زال ينشد الشعر منذ مطالع شبابه في ثورة ١٩١٩ الى اليوم ، وما زال ، اطال الله عمره ، شاعرا من مفرق شعره الى اخمص قدميه ، كانما قد وكل اليه امر الشعر العربي كله ، فهو حفظة له ، طوف به ما طوف وعرف قديمه وحديثه ، واستوعب غزله ورثاءه ومديحه وهجاءه ، على نحو مدهش رائع ، ولعل بقية من هذا الجيل العجيب الذي عرف بانك لا تكاد تطوف بأمر او موضوع او حادث حتى تجده قد القى اليك من الشعر العربي ما يصور مشاعر الانسان ازاء كل موقف ، كانما لم يغادر شعر الضاد من شيء ، وكأنه كتاب الانسانية الكبير ، ولقد عاش علي الجندي شاعرا في حياته ، وفي دار العلوم التي تخرج فيها وعمل بها حتى ولي عمادتها ، وتتلمذ عليه وتخرج ، عشرات من الشعراء والشاعرات ، وما زال ، وانت حين تراه في سمته الكريم ، ووجهه الابيض المشرب بحمرة ، وفي مشيته وحركته ، وفي صمته وحديثه ، وفي خطابته والقاء شعره، تحس انه فارس من فرسان العرب الاوائل ، او واحد من ال البيت اتباع الحسين ، وما تزال حياة علي الجندي كلها قسم من بين الفروسية والشعر ، فهو شاعر ومؤرخ للشعر ، لم يغادر الشعر القديم ، حتى كتب عن فنونه الثلاثة الكبرى: شعر الحرب وشعر الغزل وشعر الطبيعة.

وقد كان تلميذا في دار العلوم للشاعر البدوي محمد عبد المطلب، وكان له به صلة روح وطبيعة ، فهو صعيدي من انقى الانساب العربية ، وبالرغم من انه جاء القاهرة منذ العشرينات فانه ما زال عربيا صعيديا بطبعه ، حفاظا لكل مقومات الايمان والكرامة والوفاء والاباء الذي عرف به اهلنا في الصعيد ، لم تغيره القاهرة ولا الحضارة ، الا ذلك التطور الفكري الذي يجري معه العقل العربي في مجال النهضة والحياة . اما طبيعته النفسية ، طبيعة الشاعر الفارس فقد عاشت معه وعاش معها ، فهو موثر للعزلة عزوف عن المجتمعات ، ومع ذلك فهو نابض بالحياة ، متصل في شعره بكل ما يصل النفس بالحياة ، مؤمن عميق الايمان ، في اسلوب حديثه ومناقشاته العادية طابع الاصالة والفهم والقدرة على الاستيعاب والعرض واستخلاص النتائج .

ولقد رايت له في مطالعاتي الكثيرة في الدوريات العامة فصولا وبحوثا ومقالات واثارا متعددة ضخمة ، لا حد لها ، ما تزال مدفونة في اعماق الصحف ، لم تخرج ولم تنشر في كتب ، وهي على ما هي عليه غاية في الروعة ، فقد طوف استاذنا علي الجندي بالادب العربي، منظومه ومنثوره ، فاستوعب عصارة هذا التراث في مختلف فنونه ، وعرضه قصصا واحاديث عرضا جديدا على نحو لم يتح لكثير من الباحثين ، وما تزال هذه الفنون الرائعة جديرة بان تبث من جديد في اجيالنا وشبابنا الذين لا يعرفون كثيرا عن تراثنا وفنوننا ويخافون الكتب القديمة ، ولا يستطيعون الاتصال بها ، وهكذا عاش الشاعر الكبير علي الجندي يعلم في دار العلوم ويعلم في صحف مصر ،ويكشف عن جوهر الادب العربي وعن تراثه وعظمته وقصصه وبطولاته ومواقفه ، وفي نفس علي الجندي يرتبط الاسلام بالعروبة ، والصوفية بالشعر ، والحب بالجمال ، والفن بالحياة ، على نحو رائع وامتزاج دقيق ، فهو شاعر عاطفي رقيق الحس ابلغ الرقة ، وهو كاتب وباحث له مطالعات وفهم لقضايا الفكر العربي الحديث ، وشؤون العالم الاسلامي والامة العربية في مجال الفكر والثقافة والحضارة ، وقد كان في مطالع حياته شاعرا ومبشرا ، وكاتبا وخطيبا ، وامانته للشعر والاسلام لا حد لها ، فهو يخلط بينهما في عراقة الايمان بامتنا وفكرنا وتراثنا ، على مستوى الاصالة والجزالة ، وعلى مستوى الاستعلاء عن الدنايا .

يقول : سئلت غير مرة : كيف تكون شاعرا ولا نجدك متحللا ؟

ويجيب : لا أدري أي صلة بين الشعر والتحلل ، مع ان اللغة تقول : ان كل علم يسمى شعرا ، ولكن الشعر غلب على منظوم القول لشرفه بالوزن والقافية ويقول ابن رشيق : الشعر اكبر علوم العرب ، ومن قول الرسول « ان من الشعر لحكما » او حكمة ، ويكتب عمر رضي الله عنه الى ابي موسى الاشعري : « مر من قبلك بتعلم الشعر فانه يدل على معاني الاخلاق وصواب الرأي ، ومعرفة الانساب » . ويقول علي كرم الله وجهه : « الشعر ميزان القول او ميزان القوم » والتاريخ يحدثنا : ان معظم الشعراء في القرون الاولى ، كانوا من الفرسان المغاوير ، والابطال الانجاد ، خاضوا المعارك ، وسعروا لظاها بأسلحتهم والسنتهم معا ، وما ابعد رجال المعامع وصناديد الوقائع ، عن خنث الطباع وتميع الاخلاق ، والشعراء ينظرون الى فنهم نظرة اجلال واكبار فيقول الاعشمي :

والشعر يستنزل الكريم كما ... ينزل رعد السحابة السبلا

هذا هو مفهوم الشعر عند علي الجندي كما عبر عنه في كتابه « خمسة ايام في دمشق الفيحاء ».

وعنده ان الشعر لم يفقد ما له من سحر وفتنة وسلطان بالغ على النفوس ، وانه سيظل الى الابد ، برغم استعلاء الروح العلمي وسيطرته، متعة الاذهان وبهجة القلوب وغذاء الارواح ، ما دام للناس عواطف ومشاعر واحاسيس ، وسيبقى ما بقيت الضاد اجمل فنون الجمال ، وارقى لغة كشفها الانسان للتعبير عن خوالج نفسه ، ومآربه العليا السامية ، وان امتنا العربية الشاعرة لم ينقطع نسلها من فحول الشعراء ، وان في يدها من الشعر عصا سحرية تستطيع ـ ان حسن توجيهها ـ ان تفعل بها العجائب وتصنع المعجزات .

وعنده ان الشعر ـ وهو انفس الفنون ـ قد كان ابطأ سيرا في العصر الحديث بحكم طبيعته من الفنون الاخرى ، ولكن انتفاضات الامة العربية المتوالية وهز الاحداث لها هزا عميقا ، قد بعث قوى شعرائها واذكى لهيبهم المقدس ، وفجر فيهم ينابيع الالهام الثرة ، واهاب بهم ان يؤدوا لامتهم ما لها قبلهم من حقوق مفترضة ، فانطلقوا كالسيول

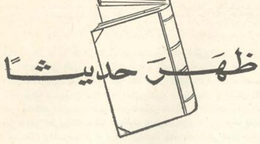
العارمة يشدون ازرها ، ويجبرون كسرها ، حتى ليمكن ان يقال : ان الاشعار التي قيلت في محنة فلسطين والجزائر ، والاشعار التي قيلت في تمجيد القومية العربية والتبشير بالوحدة العربية وما قيل في معركة بور سعيد الخالدة تربى على ما قيل في عصر كامل من عصور الشعر العربي التاريخية الزاهية.

ويمضي استاذنا علي الجندي فيقول : اننا يجب ان نكون على حذر دائم من الدعوات الهدامة المدمرة التي تريد ان تقطع صلتنا الوثيقة بماضينا الحافل بالمآثر ، وتأتي على مفاخر ستة عشر قرنا من القواعد، باسم التجديد الزائف المنكر ، الذي يجعل من المقالة دردشة جوفاء ومن القصص اباحية صارخة ومن الفن تهريجا وبهرجا ومن الشعر رقما مهلهلة ممزقة ومن النقد هرما وانتقاصا .

وبعد فان ديوان « ترانيم الليل » آخر انتاج الشاعر علي الجندي المصري العربي المسلم ديوان ضخم انيق ، يعد نموذجا رائعا للشعر العربي الحديث صبغ بأسلوب يمثل ديباجة البحتري اصدق تمثيل وقد سجل الشاعر في ترانيمه ما هز نفسه من حوادث وما راقها من مناظر وما مر بها من آلام واشجان ، وتغنى بالحب والجمال السامي غناء مهذبا يونق ويطرب ، ونظم وقائع الحياة في صور قصصية مبتكرة توشحها الحكم البالغة والاراء الفلسفية والنظريات الاجتماعية ، وقد قسمه ناظمه الى ابواب : وطنية ، وعربية ، وصور من الحياة ، وزفرات ، وذكريات الصبا، وخواطر وافكار، وفي مجموعها تضم حوالي مائتي قصيدة ومنظومة تمثل مختلف مشاعر هذا الشاعر الفنان في مرحلة السنوات الاخيرة ، وهو بالاضافة الى ديوانيه السابقين « اغاريد السحر » و «الحان الاصيل » يمثل تطور شعره ، في مراحله المختلفة ، خلال حياة خصبة طائلة باذن الله ، ومن خلال نفسية غنية الحسن ، تهتز لكل احداث الحب والجمال والحياة ، وترتبط بالانسانية والوطن والاسلام والعروبة ، ولا تنفصل ، ويكاد يكون هذا الديوان سجلا كاملا لتطور الحياة الفكرية والسياسية والاجتماعية التي يعيشها الشاعر الكاتب الخطيب . تمثل شخصيته في اصالته وبلاغته ، وفي نبالة خلقه ، ووفائه ، ورقته ، وفي مروءته وفروسيته ، وارتفاعه عن المادة، والحس، كأنما هو شاعر من اعماق العصر الاسلامي الزاهي، ويقول الدكتور شوقي ضيف في تقديم الديوان « نراه مولعا بكل جمال يملأ بصره ، ويملك عليه لبه ولكن في احتشام ، وفي تلطف رقيق ، ولعلي لا ابعد اذا قلت انه ممن يحبون الجمال نفسه لا من يتجسد فيه».

واذا كان يسعدنا ان نقدم ديوان « ترانيم الليل » اخر انتاج الشاعر ظهورا ، فاننا ما نزال نتطلع الى اثاره الاخرى الكثيرة التي طالما حرضناه على نشرها واعادة ابرازها من جديد بعد ان طوتها بطون مجلات وصحف البلاغ ، الرسالة ، الرابطة العربية ، وعشرات اخرى وبعد فالاستاذ علي الجندي يصور مذهبه على هذا النحو : « انني لا استطيع ان اضوع بيتا واحدا في عرض لا يملك علي شعوري كله الى الحد الذي يستقطر الدمع من عيني احيانا فكل بيت فيض العاطفة ونبض الشعور ، لا فرق في ذلك بين الشعر الوجداني الخالص كالنسيب مثلا وبين غيره كالاماديح والتهنئات مما يسمى شعر المناسبات هو عندي خاصة من صميم الشعر ، لاني انظمه بهذه الروح التي اغني بها آلامي النفسية من الاعماق ، اما رسالتي فمشتقة من وراثتي ونشأتي وبيئتي ودراستي وهي الاشادة بمفاخر العرب والاسلام وامجاد مصر الخالدة والتنويه برجالها العاملين وتخليد مآثرهم وتسجيل ما يهز النفس من احداث .»

القاهرة — انور الجندي



● الاصبع والزناد ـ مجموعة قصص ـ تاليف محمد كمال محمد ـ ١٧٦ صفحة ـ منشورات الدار المصرية للتاليف والترجمة ـ المطبعة الكمالية (؟)

● ادباء من الشرق والغرب : من الادب المقارن ـ تاليف عيسى الناعوري ـ ١٦٨ صفحة ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطابع منشورات عويدات بيروت .

● لمع مشرقية ـ شعر ـ امين البرت الريحاني ـ ١٢٤ صفحة ـ منشورات دار الريحاني للطباعة والنشر ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

● شاعر عبقر واهازيج الفن : دراسة ، تحليل ، نقد ـ تاليف عبد اللطيف يونس ـ ٢٥٦ صفحة ـ مطابع مؤسسة الانتاج الطباعي فيبيروت.

● البئر في حياة العرب قديما وحديثا ـ تاليف المحامي عبد القادر عياش عضو لجنة الفنون الشعبية في المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب بدمشق ـ ٩٠ صفحة ـ حجم كبير ـ سلسلة تحقيقاتفولكلورية من وادي الفرات الكتاب ١١ ـ طبع في دير الزور بسورية (لم يذكر اسم المطبعة)

● على هامش الادب العربي ـ تاليف جورج سالم ـ مصمم الغلاف كلود جانجي ـ ١٥٢ صفحة ـ منشورات مكتبة الشرق بحلب ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ستر العرايا ـ مسرحية ـ تاليف بيرنديللو ـ ترجمة جورج سالم ـ مراجعة وتقديم اسعد فضه ـ ١٣٢ صفحة ـ سلسلة عيون الادب المسرحي الكتاب ٦ ـ منشورات دار الشرق بحلب ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

● جزيرة المعز ـ مسرحية ـ تاليف ايفويتي ـ ترجمة جورج سالم ـ مراجعة وتقديم وليد اخلاصي ـ ١٠٠ صفحة ـ سلسلة عيون الادب المسرحي الكتاب ٧ ـ منشورات دار الشرق بحلب ـ (لميذكر اسمالمطبعة)

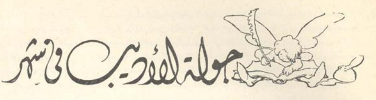
● سفر الكلمات ـ شعر ـ جورج غانم ـ ١٢٤ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة المطبعة في جونيه بلبنان .

● الصهيونية نشأتها وقيادتها ومنظماتها السرية ـ تاليف عرفات حجازي ـ ٩٨ صفحة ـ سلسلة التوعية الفلسطينية ـ (لم يذكراسم المطبعة)

● خالدون في الوطن ـ تاليف ابراهيم المصري ـ ١٦٠ صفحة ـ مع عدة لوحات ـ سلسلة اقرأ الكتاب ٢٨١ ـ منشورات دار المعارف بمصر القاهرة ـ مطابع دار المعارف بمصر .

● صرخة ـ شعر ـ علي صدقي عبد القادر ـ ١٩٢ صفحة ـ منشورات مؤسسة المعارف ببيروت ـ المطبعة التجارية بيروت .

● منتخبات من قصائد بيكر ـ اختارها وكتب مقدمتها خواكين بنيتو دي لوكاس ـ نقلها الى العربية : كمال فوزي الشرابي ، سامي ديب، جورج سرحان ـ مقالة افتتاحية لنزار قباني ـ ٦٤ صفحة ـ منشورات المعهد الاسباني العربي للثقافة في مدريد ـ المطبعة الوطنية بمدريد .



حديث ادبي مع نقولا يوسف

يعيش في الاسكندرية اديب يقف في مقدمة الادباء الذين عرفتهم هذه المدينة ، مارس الكتابة اكثر من اربعين سنة ، فقد صدر كتابه الاول «الفردوس» سنة ١٩٢٢ . ومنذ ذلك التاريخ حتى هذه الايام والقلم لم يقف في يده ، لان التفكير والبحث والمعرفة والحوار هي نبض حياته.

بالاضافة الى الكتب العديدة التي اثرى بها المكتبة العربية واهمها في تقديري «الحياة الجديدة» ١٩٣٦ الذي يضم ستين بحثا في مختلف الشئون الفكرية والادبية والاجتماعية على المستوى الوطني والعالمي ، ومجاميع قصصه الثلاث « دنيا الناس » ١٩٥٠. « مواكب الناس » ١٩٥٢ « هم وهن » ١٩٦٢ ، و «ديوان عبد الرحمن شكري» الذي قام بجمعه وتحقيقه وكتابة مقدمة ضافية تعتبر اوفى ما كتب حول هذا الشاعر الرومانسي الملهم المقتدر – اقول بالاضافة الى هذه الاعمال لنقولا يوسف، فله عشرات العشرات من المقالات والابحاث والدراسات مبعثرة في الصحف ، والمجلات المصرية واللبنانية ، نشرت على مدى هذا العمر منها : الاهرام ، السياسة الاسبوعية ، المساء ، البصير ، الادب الحي، المجلة الجديدة، الاديب، الغربال ، الادب ، العالم العربي. (١)

كما ان لنقولا يوسف مجموعة من الكتب المخطوطة معدة للنشر سبق واطلعني على بعضها .

ان مقالات نقولا يوسف المتفرقة وكتبه المخطوطة هي نتاج عقل تقدمي متفتح ، تم نموه في حديقة زهراتها من اجمل من انجبتهم الانسانية ، فهو يقرأ بالانجليزية والفرنسية بنفس القوة التي يقرأ بها العربية . ويكفي ان تعرف ان البحث المعذب عن السلام العالمي ، والتجديد والاصلاح لجميع انشطة الحياة .. كانت اهتمامات هذا الاديب الاولى في وقت خيم الظلام فيه على بلادنا ، وكان اولئك الذين يحلمون بالمدن الفاضلة ، بالعدالة والحرية والسلام ، يضربون بيد من حديد.

وغني عن البيان ان طبع هذه الكتب وجمع هذه المقالات يثري الجماهير القارئة . وهذا هو نص الحديث الذي دار بيني وبين نقولا يوسف .

– اتيح لك ان تعاصر وتشارك جيلين من الادباء والمفكرين ، او ثلاثة باعتبار الجيل الوسط في مصر الذي ينتمي الى الخمسينيات : نجيب محفوظ ، يحيى حقي ، لويس عوض . فما هي خصائص كل جيل الفكرية ، ومن كان اكثر استجابة لاحتياجات العصر ؟

– يمكننا ان نتفق اصطلاحا على ان الجيل الاول الذي عاصرته يبدأ بثورة ١٩ وينتهي في مبادىء الحرب العالمية الثانية . والجيل الثاني هو جيل الحرب العالمية الثانية وما بعدها حتى سنة ٥٢ ، ثم الجيل الحديث المعاصر ، جيل الثورة الراهنة .

يتميز الجيل الاول بحماسته القومية ، ودعوته الى آداب وفنون اقليمية . وهنا اشتدت حركة الادب المصري ، واندفع بعض هؤلاء الادباء فكتبوا بالعامية مثل محمد تيمور وجميع ادباء القصة الذين كتبوا الحوار بالعامية وقتذاك مثل احمد خير سعيد ، ابراهيم المصري ، حسين فوزي ، الاخوان عيسى وشحاته عبيد ، وطاهر لاشين . كلهم كتب الحوار باللغة العامية وسموا قصصهم قصصا مصرية مستوحاة من البيئة المصرية ، سواء كانت المدينة او الريف .

وهذا الجيل اشتد اهتمامه في الوقت نفسه بالقضية المصرية وشعارات الحرية والاستقلال وتحرير المرأة والجلاء .. وكانت هذه الاهتمامات تلون الادب : الشعر والمسرحية والقصة . كما سطع في ميادين الفن في هذه الفترة نجم سيد درويش ، بيرم التونسي ، محمود مختار ، محمود سعيد ، ناجي . اولئك هم جيل الثورة والتمهيد .

وكان للصحافة في هذه الفترة أثر بالغ . ظهر عدد كبير من الصحفيين الذين مارسوا الصحافة بسبب الحركة الوطنية وما خرج من هذه الحركة من أحزاب . ففي سنة ١٥ انشأ بعض الادباء جريدة «السفور» ورأس تحريرها عبد الحميد حمدي ، وكانت مسرحا لاقلام شباب هذا الجيل ، وحوالي سنة ٢٦ ظهرت جريدة « السياسة الاسبوعية » وحررت بها ، وفي اواخر ٢٩ ظهرت «المجلة الجديدة» وظلت عدة سنوات تحمل مشعل التقدمية وتحرير الفكر ، وبخاصة بعد ان اغلقت جريدة لطفي السيد . وما زلت ترى من مجلدات «السفور» المحاولات الادبية الاولى لطه حسين وهيكل ومصطفى عبد الرزاق وأحمد ضيف ومحمد تيمور .

ووسط هذه الضجة من الصحافة خرجت نداءات الى الاستقلال الاقتصادي وانشاء بنك مصر .

اما الجيل الثاني من الحرب الثانية الى الثورة ، فقد حدث انتظار نتيجة الحرب العالمية الثانية ومصائر الشعوب . كان موضوع الحرب هو اهم الموضوعات في الصحف وفي المطبوعات . مطبوعات عن الحرب والسلام . فلما انتهت الحرب تطلع الادباء الى تحرير البلاد : تحرير وطنهم سياسيا واقتصاديا ، وبخاصة لانه شارك الحلفاء بلا داع او مصلحة .

في هذه الفترة كبر شباب الجيل الماضي وتزعموا الحركة الادبية مثل طه حسين والعقاد وتوفيق الحكيم والمازني وهيكل . وظهرت نهضة كبيرة في المسرح والقصة والشعر والترجمة .

ولم يكن التيار التحرري واضحا ، بالعكس كان للمحافظين بل للرجعية سلطات واصوات . فما ان بدأت ثورة سنة ٥٢ حتى بدأت المبادىء التقدمية تخرج من طور النظريات الى طور التنفيذ .

وبذلك اصبح للادباء الذين كانوا يفكرون في تحقيق مثلهم العليا فيما سلف الجو الصالح للابداع والانتاج . الى جانب هؤلاء ظهر الجيل الصاعد الذين ولدوا ادبيا مع قيام الثورة، الذين ساروا مع الارهاصيين، فانهم اللسان المعبر الشاب عن القيم الجديدة مثل مقاومة الاستغلالية والاستعمار وهي القيم التي حينما كنا نادي بها في الماضي كنا نلقى مناوأة المحافظين والرجعيين واعوان السراي والاستعمار .

وفي كل جيل ادباؤه التقدميون كما كان لكل جيل ادباؤه الرجعيون . ولهذا وجب على المؤرخ ان يميز بين اصحاب الطريقتين. ويستطيع ان يرجع الى كتابات كل فئة منها على مر السنين ، مقالاتهم الاولى ، فانها تدل على الاستعداد الباكر للتقدمية من عدمه .

– لك اهتمام بالغ بالادباء الاجانب الذين قطنوا الاسكندرية ، في مقدمتهم كفافي والشاعرة بساراس وسيفيريس ، فالى أي مدى اثرت هذه المدينة في ادب هؤلاء الادباء ؟

– كان للاسكندرية منذ عصر بطليموس الاول الى الان مؤثراتها البيئية على ادبائها وفنانيها. ولهذا امتلأت الكتب عن مدرسة الاسكندرية في العصر الهلينستي ، ثم المدرسة اللاهوتية في العصر المسيحي ، ثم المدرسة الصوفية في العصر العربي القديم ، ثم هذا العدد الوافر من الشعراء والفنانين والادباء عامة في العصر الحديث . ولما كانت الاسكندرية تضم كميناء عظيم أجناسا مختلفة من الناس كان من الطبيعي ان ينبغ فيها أدباء من اليونانيين والايطاليين ومن كتبوا في لغات

شتى . وكان للاسكندرية من جهة الجمال الطبيعي والمركز الاقتصادي والتراث الذي تمتد جذوره نحو اكثر من الفي عام اثر في مزاج ادبائها وفنانيها دائما . فكان في ادبهم الكثير من الجمال : جمال روحي واسلوبي وانطلاقات متحررة كالبحر الواسع الجياش كما نرى في شعر كفافي والشاعرة بتروندة باليولوغو (٢) والشاعرة بساراس والشاعر اونجريتي الايطالي ، ويبلغون في العصور الحديثة فقط نحو المائة شاعــر .

وقد كان لانشغالي في كتاب « اعلام الاسكندرية » الذي كلفتني بوضعه هيئة السياحة ان حاولت حصر كبار هؤلاء الاعلام الى جانب بعض اخوانهم الوطنيين .

ـ يفيد الادباء من التراث الانساني قدر افادتهم من خبرة الحياة. فمن هم الكتاب الذين أثروا فيك ، ومن أي النواحي تعتبر مدينا لهم ، وما قدر الاصالة فيما قدمت ؟

ـ كان هناك عدد من المعلمين الوطنيين والاجانب ممن تأثرت بهم عن طريق المطالعات او عن طريق التعارف الشخصي . وقد بدأت اقرأ الكتب منذ تعلمت القراءة . ففي ايام الصبا تأثرت كغيري من الطلبة بكتب المنفلوطي وجبران وادباء المهجر ، ثم تعرفت بسلامة موسى واشتغلت معه في «المجلة الجديدة» ، وتعرفت بالدكتور هيكل واشتغلت معه في « السياسة الاسبوعية » . وعندما التحقت بمدرسة المعلمين العليا بالقاهرة درسنا هناك الادبين الانجليزي والفرنسي ، وعرفت عددا كبيرا من كتابهم وشعرائهم في مؤلفاتهم ، ولكني كنت اعجب واقرأ كتب هـ.ج. ويلز وبرناردشو وتاجور بصفة خاصة ، وبمذهبهم الانساني الذي يعتبر العالم كله انسانية واحدة .

وحدث اثناء تلمذتي بكلية المعلمين هذه ان تعرفت بالمستشرق الاسباني جلارزا (٣) وكان فيلسوفا يقرأ ويتكلم في سبع لغات ومنها اللغة العربية ، فتتلمذت عليه نحو اربع سنوات . ولكني لم اتأثر باديب واحد بالذات ، بل كانت لي آرائي ومثلي الخاصة منذ الصبا ، ظهر بعضها بطريقة فجة في كتاب «الفردوس» طبع سنة ١٩٢٢ وسني ١٨ سنة ، وفي كتاب كتب في سن العشرين وظهر سنة ٢٧ بعنوان « نسمات وزوابع » .

ـ عندما صدرت مجموعتك القصصية «هم وهن» كتب القصاص حسن فتحي خليل في جريدة المساء يأخذ عليك انك لم تنشىء مدرسة ادبية في الاسكندرية ، فهل المرد الى اتجاهك الخاص في القصة القصيرة ، الذي تقترب فيه من اللوحة ، ام يرجع الى الوسط الادبي؟

ـ لا هذا ولا ذاك ، وانما يرجع الى اني لم اتخصص في القصة القصيرة او الطويلة بسبب انشغالي بابحاث نقدية وتاريخية ، وكان الواجب ان أتخصص في فرع واحد من فروع الادب ، وبذلك نستطيع ان نرى ان كان هذا التخصص ينشىء مدرسة ادبية ام لا .

ـ ما نصيب الرحلات التي قمت بها في اوروبا من انتاجك ؟

ـ زرت نحو عشر دول وعندي مذكرات ازمعت ان اخرج منها كتابا في ادب الرحلات ما زالت مسودتها مكدسة عندي . وقد نشرت بعض مقالات وقليلا من القصص القصيرة المستلهم من هذه الرحلات .

ـ في كتاباتك استهداف واضح لاغراض انسانية عالية ، فهل مقصدك اصلاح المجتمع ام اصلاح النفس ، وما مدى العلاقة بينهما ؟

ـ اصلاح النفس هو اصلاح المجتمع . اذا صلحت النفوس صلح المجتمع . وهذا هو هدفي في القصص والمقالات . أي انه ادب التزام وأدب هادف وان كنت اعتقد ان ما يسمونه الفن للفن وما أشبه لا يخلو من هـدف ايضـا .

ـ اسماء قصصك اسماء اشخاص مثل : انيسه ، الاستاذ بهلول، سوزي ، الناظر عزوز ، حسن البلطي .. بينما عناوين مجاميعك عامة: «دنيا الناس» ، «هم وهن» ، فما نصيب تصوير الجموع في ادبك من تصويـر الافـراد ؟

ـ كل عنوان هو بطل القصة ، وهو في العادة شخصية شعبية من الفقراء والمحرومين واحيانا قليلة من الشواذ ، لانهم كانوا غالبية الشعب . والجموع تتكون من مثل هؤلاء الافراد . كل فرد يمثل طائفته وجمهوره . وفي الواقع كنت أشعر بعطف على بطل القصة ولو تعرض احيانا لفكاهة تقترب من السخرية . وهذه كانت طريقتي واظن انها سوف تستمر : تصوير الفقراء والضعفاء والمحرومين والمظلومين .

ـ بالرغم من امانتك البالغة في النقل عن الواقع ، ومن يعرفك عن كثب يعرف معظم الشخصيات التي صفتها بقلمك ، فانت كاتب غير واقعي ، لا مفر من وصفك بالرومانسية.شخصياتك تتعذب بشدة ، وبها جانب من الخير جلي لا يؤثر فيه خضم ذلك العالم الفاسد ـ وقتذاك . هذه النظرة نظرتك .

اما الواقعية التي تنادي بها فمصبها الفهم الصحي للانسان والمجتمع جميعا مـع تفاؤل حتمي لسيادة التقدمية في بقاع عديدة مـن العالـم .

ان التشاؤم والعاطفية الزائدة والذاتية وعشق الطبيعة البكر التي تتردد صورها الجميلة في قصصك خصائص رومانسية بحتة .

ـ يجوز انني نشأت نشأة رومانسية ، متمسكا بالمثل العليا كما ظهر في كتب الصبا : «الفردوس» و «نسمات وزوابع» و «الهام» ، ولكن يبدو لي اني نزلت بعد ذلك الى عالم الحقائق والواقع ، فكتبت عن رجل الشارع وصورت التعساء والفقراء في مجموعاتي القصصية المذكورة . غير ان هذا التصوير لم يستطع ان يتخلص كلية من تلك النزعة الشاعرية الرومانسية الحالمة التي نشأت معي منذ الطفولة . وبدأت شاعرا مشبوب الخيال وكان الاصح ان استمر في معالجة الشعر. ولكن جرفتني التجارب : تجارب السنين ومرارة الواقع ، فكنت اصور ما أرى بعيني وما أحسه بنفسي ، وهذا ليس تجردا من الواقع الملموس وان كان مصطبغا بشيء من الاخيلة والاحلام .

ولهذا فان ما طبعت عليه من تفاؤل بتطور البشرية والمجتمع والنفوس ، وترجيحي الناحية الخيرة في النفس البشرية على الجانب الشرير ، كانت كلها تلون هذه الاقاصيص بل المقالات بهذا التفاؤل وهذا الميل الى الجانب الخير .

هذا الى جانب اني أعتقد ان من واجب الاديب الا يكون سيء الظن بالنفس البشرية ، يائسا من صلاحها ، متشائما من مصيرها .

ـ لم اقصد التفاؤل والتشاؤم ، انما عنيت التصوير الموضوعي الذي لا يطمس مع ذلك موقف الكاتب من الحياة .

ـ الذي أظنه ان في المجموعات الثلاث المطبوعة والرابعة غير المطبوعة اكثر من مائة اقصوصة تمثل كل منها صورة لاحد النفوس البشرية . للناقد ان يقرأها في تمعن كيما يستشف الهدف الذي رمى اليه الكاتب في الصورة . وبذلك قد يختلف النقاد في النتيجة. والارجح ان هناك من النقاد من يرون اهداف المؤلف وموقفه من كل هدف . علما باني اعتقد بوجوب اقتران الحقائق بالاحلام ، والواقع الاليم بالمثل العليا . هذا مذهبي في الكتابة ، ولكل شيخ طريقته .

ـ لم اتحدث عن الهدف الذي ترمي اليه الصورة ، بل عن مكوناتها. مكونات العمل الادبي بجميع أبعاده . ان النظرة الموضوعية للعالم هي سمة الواقعية ، وعالم التناقض الذي تذكره « اقتران الحقائق بالاحلام، والواقع الاليم بالمثل العليا » ، سمة الرومانسية الذي يرتفع الانسان فيها الى اعلى عليين او يهبط الى الدرك الاسفل .

ـ ليس من واجب القصاص ان يكون مصورا فوتوغرافيا للحوادث المحلية التي تعرض له كما يفعل المخبر الصحفي ، بل هو فنان اولا اديب يرى في حادث ما زوايا واعماقا والوانا لا يراها المخبر الصحفي، وتصويره لا يكون خروجا من الواقع كان ينتقل الانسان من كوكب الى كوكب ، بل هو يصور الواقع كما يكون مع شيء مما يجب ان يكون .

– اذن قل لي ما الفرق بين شيللي وجوركي بغض النظر عن اختلاف القالب ؟

– شيللي شاعر حالم يتعمد الطيران بعيدا عن الواقع الملموس . اما ماكسيم جوركي فقصاص يصور الواقع الاليم وغير الاليم بصورة قريبة من الحقيقة . ولكن جوركي يظل انسانا قبل كل شيء .

– والفرق بين المنفلوطي ونجيب محفوظ ؟

– رومانسية المنفلوطي فيها كثير من المغالاة الشعرية العاطفية والتعبير البياني المزخرف ، في حين ان نجيب محفوظ مثلا يقترب كثيرا من الواقع الملموس في التصوير والتعبير . ومع ذلك فيظل انسانا اولا واخيرا .

– قصدت بالمقارنة الى القول ان اتجاهك في القصة ينتسب في المضمون الى المنفلوطي الرومانسي اكثر من انتمائه الى نجيب محفوظ ، الى احساس شيللي الملتهب اكثر من ادراك جوركي العقلي .

– لا اعتقد ذلك . وربما تكون رواية «الهام» التي كتبتها في صدر الشباب كثيرة الشاعرية او الرومانسية . غير اني في المجموعات القصصية اندمجت كثيرا في عالم الواقع ودنيا الناس . والفارق بين اسلوبي واسلوب استاذنا المنفلوطي رحمه الله – اذا جازت المقارنة – ، ان اسلوب المنفلوطي كان موشى بالبديع والبيان والاستعارات والكنايات مما كان ذائعا في عصره.ولكني اعتقد اني بعيد عن هذه الطريقةالبيانية.

– ذكرت في التعريف الذي قدمته عن نفسك في نهاية كتاب «هم وهن» ان لك عدة كتب تحت الطبع منها : « الادباء الزنوج » ، « البحث عن السلام » ، « ادباء عرفتهم » . هل تستطيع ان تذكر لي المحاور التي دارت حولها هذه الكتب .

– كتاب عن ادب الزنوج (في العالم اجمع) قد يخفف من حدة التعصب اللوني والتفرقة العنصرية . هذا الى اننا نشهد عصر اليقظة الافريقية وطمس الفروق بين الالوان . وكتاب عن السلام قد يخفف الجنوح الى التسلح والاتجاه الى الحرب . وكتاب عن ادباء عرفتهم هو تسجيل لذكريات ادبية عن اصدقائي الادباء خلال نصف قرن . وهذه الكتب وغيرها لم تزل مع ذلك مخطوطة لم تطبع بعد .

الاسكندرية — نبيل فرج

•

منصور ابي صالح وتبسيط اللغة

ادرك الاستاذ منصور ابي صالح ما يعتور قواعد اللغة من تعقر وتعنت فما ونى عن ايجاد محاولات تبسط القواعد وتخلصها من شوائب طلاسم الصرف والنحو ، وذلك عن طريق درس اللغة اولا ، لذاتها ثم استنتاج اصولها منها لا مما قيل بها .

وفي سؤال له عن طريقة استنتاج اصول اللغة منها ، اجاب :

– نقول : قام زيد ، ومات زيد ، وبلي زيد ، واعرب النحاة «زيد» في الامثلة الثلاثة «فاعل للافعال الثلاثة» اي قام ومات وبلي .

والذي اراه ان الجمل الثلاث هي لغة صحيحة فصيحة . ولكن قول النحويين القدماء والمحدثين ان زيدا هو الفاعل لا اراه صحيحا وذلك لان زيدا اذا كان فاعلا لفعل قام فكيف يكون فاعلا لمات وبلي ، فهل هو امات نفسه ليسمى فاعلا لمات وبلي . وبفرض قبول ذلك فبعد موته هل هو الذي فعل البلى لنسميه فاعلا !

لذلك يجب الاخذ باللغة الصحيحة الواردة عن العرب ووضع اصول لها مبنية على المنطق المعقول الذي يتلقاه التلميذ بكل سهولة فلا يتنكر للغته .

مثال اخر : يقولون كل فعل على وزن «فعل» مثل اكل وصدق هو فعل ماض وهذا صحيح اذا بقي الفعل غير مسند الى فاعل . ولكن اذا اخذنا الاية الشريفة «صدق الله العظيم» فهل يصح ان تعرب «صدق» فعل ماض ، وهل يصدق الله في الماضي فقط وتنقلب الاية من الصدق الى الكفر والكذب على الله ؟

مثال ثالث : ويقولون كل فعل على وزن يفعل هو فعل مضارع ومعناه للحاضر والمستقبل ، ولكن اذا قلنا : زيد يقرأ ويكتب ، او : لم يقرأ ولم يكتب، فهل هذان فعلان مضارعان ، ومن لم يقرأ ولم يكتب كيف فعل القراءة والكتابة في المستقبل ، فقاعدة النحويين والصرفيين اذا غلط صريح .

– كيف اذا تبني قاعدتك الجديدة ؟

– ابنيها كما يلي : كل ما تراه او تسمعه او تفكر به ، وبالجملة كل شيء هو كائن موجود له ذاتية واسم ، وهذا الذات يكون اما مخبرا عنه واما خبرا ، وكل من الذوات ، المخبر عنه او الخبر مرفوع ، ولا عبرة بالتقديم والتاخير . واذا كان الخبر حادثا منوعا اي فعلا ، فيجب التدقيق باوزان هذا الفعل ، لان لكل وزن معنى خاصا به ، فحزن (بكسر الزاي) غير حزن (بفتحها) وضرب غير ضرب ، وكل منهما غير ضرب ، وكذلك ضرب هي فعل جديد غير ما ذكرنا .

وقد قدمنا ان الذات اي الاسم المخبر عنه والاسم الخبر كلاهما مرفوع ، واذا كان الخبر فعلا فيجب التدقيق بوزنه واعرابه ، فعلا وصفيا او متعديا او مجهولا ، وهكذا تنطبق القاعدة على كل اسم وكل فعل ، والتقديم والتاخير مردهما المعنى المقصود ، ولا تأثير لهما بالاعراب ، فيبقى الذات اي الاسم مخبرا منه ، او موضوع الكلام ، ويبقى الخبر خبرا سواء كان اسما او صفة او فعلا . وهكذا نستريح من الفاعل ونائب الفاعل والفاعل الساد مسد الخبر والمبتدأ والخبر اللذان يتحولان الى اسم كان وخبرها واسم ان وخبرها ، وما هما هذان «كان» و «ان» ليصح الاخبار عنهما ! فالخبر لا يكون الا عن شيء موجود له كيان حسي كالشمس والارض والانسان ، او كيان معنوي كالدين والعلم والعدل والظلم والقبح والجمال .

– وما هي طريقتك في الاعراب على ضوء هذه المبادىء الجديدة ؟

– اقسمه الى نوعين : الاول اعراب الكلمة بذاتها : اسم ام فعل ام حرف ، وهو ما يعرف بالاعراب الصرفي .

ثم الاعراب النحوي فاقول : الكلام ينعقد من ركنين لا ثالث لهما، كقولك زيد قائم ، او قام زيد ، فالركن الاول هو زيد ، سمي مسندا اليه او موضوعا او فاعلا او اسم كان واخواتها الخ. وانا اسميه موضوع الكلام . والركن الثاني هو الخبر وقد سمي محمولا او مسندا او خبر المبتدأ ، وانا اسميه خبرا ، سواء كان اسما ام فعلا ، موصوفا او صفة.

المرفوعات : الركنان متى كانا اسمين يكونان دائما مرفوعين وكذلك ما يعطف عليهما او يبدل منهما او من احدهما ، ويعرفان بالموضوع وخبره ، فنستغني عن كل ما سواهما من المرفوعات .

المنصوبات : كل ما زاد على ركني الكلام وكان اسما او صفة فهو تتمة منصوبة سواء سميته خبر كان او اسم ان او مفعولا ، على انواعه ، او حالا او تمييزا .

المجرورات : كل ما دخل عليه حرف جر او اضيف اليه اسم اخر فهو مجرور بحرف الجر او الاضافة .

---

(١) احتجبت من هذه الصحف والمجلات ، السياسة الاسبوعية ، البصير ، الادب الحي ، العالم العربي . (٢) (٣) نشر نقولا يوسف في مجلة« الاديب » مقالات عن الشاعرتين باليولوغو وبساراس والمستشرق جلارزا في الاعداد الصادرة بتاريخ ١ – ٦ – ٦٣ ، ١ – ٧ – ٦٣ ، ١ – ١ – ٦٥ – على التوالي .

اعراب الفعل : الفعل لا يكون الا خبرا عن موضوع الكلام سواء تقدم ، كقام زيد ، او تأخر كزيد قام ، او يقوم ، والفعل مبني على الفتح في الماضي والسكون في الامر ، والمضارع المجزوم .

ـ هل كانت محاولة الاستاذ يوسف السودا موفقة ؟

ـ هذه قضية اجبت عنها في كتابي «الباب الاصول» صفحة ٦ حيث قلنا ان المجددين كلهم ومنهم الاستاذ السودا لم يتوفقوا لانهم بنوا على اساس السالفين . فالصواب في درس اللغة لذاتها لا حفظ ما يقال بها . فما قاله سيبويه وابن هشام قاله السودا بترتيب ولكن واقع اللغة يخالف هذا كما قدمت لك في الامثلة .

جريدة «الحياة» بيروت

●

ابو الحسن والشعراء الثلاثة

زار الشاعر امين نخله مدينة باريس بمناسبة السنة الجديدة ١٩٦٦ فاقام له صديقه جورج صيدح الشاعر المهجري حفلة اخوانية انيسة ضمت بعض زوار باريس . فاذا بالحديث يتحول نحو صديقهما الاستاذ محمد علي الطاهر نزيل لبنان . وما اصبح الصبح حتى كان الاستاذ صيدح في دار البريد ليخبر مجلة «الاديب» بما كان بالامس ، مصحوبا بالابيات الثلاثة الموجهة الى صديقه القديم الاستاذ الطاهر ببيروت وهي :

ولقد ذكرتك (والامين) منادمي ... وانا طروب الروح سكران النهى
بدأ الحبيب عن الحبيب حديثه ... وانا اعيد واستعيد متى انتهى
قبلت بالرؤيا حروف كلامه ... ان الحروف لها شفاه تشتهي !

باريس **جورج صيدح**

وبعد ان شرفت مجلة «الاديب» وغربت بتلك الابيات اللطيفة اذا بجريدة «البلد» العراقية ترفرف من بغداد ، وهي تحمل ابياتا من نفس الوزن والقافية للشاعر العراقي الاستاذ جلال الحنفي نزيل الصين ، وهي موجهة الى الاستاذ محمد علي الطاهر يقول فيها :

لم يبرح اسمك ـ لا بعدت ـ مضمخا ... بالحمد ما بدأ الحديث وما انتهى
نعزى اليك المكرمات جميعها ... والالمعية والحصافة والنهى
شتان بين المدنفين ، فمدنف ... عشق الجهاد ومدنف عشق المها
ما كان بالشائي جهادك مدع ... دعواه ما أمر الاوامر او نهى
ولرب محص ما صنعت اضله ... عظم الرصيد فكم اعاد ، وكم سها
عزم رأيت الدهر جاذب حبله ... جذب الغريم ، فلم يرك ولا وهى
اني وقد اسقيت ودك رائقا ... لأراك ما عشت اللذيذ المشتهى

بكين **جلال الحنفي**

وهنا ينهض اديب ذواقة فيبعث بالقصيدتين الى شاعر الحجاز الاستاذ فؤاد شاكر ، لمساجلة صديقيه الشاعرين العربيين صيدح والحنفي ، على مصاولة صديقه «ابي الحسن» الاستاذ محمد علي الطاهر فيما تناوله به الشعراء من ذكريات الصداقة والحب ، فوجه الاستاذ شاكر الابيات الآتية الى صديقه الاستاذ الطاهر على صفحات جريدة الندوة الحجازية التي نشرت الجميع ، قال الشيخ فؤاد شاكر شاعر الحجاز :

تالله ما كذب الفؤاد ، مقاله ... فيما اشار به عليك وما نهى
فانهض اليه اليوم ، غير مذمم ... حتى ولو بلغت مكانته السهى
واصعد الى افق الخيال مجنحا ... واستدن آفاق المنى ، واشهد بها
وارشف رحيقا من شمائل «طاهر» ... هو من طلاوته الرحيق المشتهى
ولقد رأيتكما «جلالا» و «صيدحا» ... وسمعت شدوكما المرنم ، يزدهى
فذكرت قلبا طاهرا ينبوعه ... ثر المحامد ، ما استكان ولا وهى
ان قيل عنه «مجاهد» فجهاده ... لن ينتهي ، عبر الزمان ولا انتهى
اني لأذكره واذكر عهده ... في ندوة كانت غذاء للنهى (١)
ايام كنا والشباب يضمنا ... يوما، وفيه الحسن «مي» او مها..
هي ذكريات في النفوس خلودها ... هيهات ما نسي الزمان وما سهى..

مكة المكرمة **فؤاد شاكر**

●

مجلة الاديب في عامها الخامس والعشرين

دخلت مجلة «الاديب» بدخول عام ١٩٦٦ عامها الخامس والعشرين ، مجتازة خلال ربع قرن عقبات لا يعرفها الا من عاناها ، وقد استمرت في سبيلها ، على ارفع مستوى بين المجلات العربية حتى لتكاد تكون واسطة العقد بين ادباء العالم العربي وشعرائه ومفكريه والفضل في ذلك لما تحلى به صاحبها الاستاذ البير اديب من ثقافة عالية وادراك واع لرسالة الاديب في امته ، وايمان راسخ بجدوى كفاح الفرد المتفوق في سبيل ايقاظ الامة وتوعيتها وتوجيهها الى ما فيه لها رفعة وكرامة وخلـود .

ولا غرو ، فبقدر ايمان المرء بصواب ما يعمل وجدواه يصيب فيه ويجدي ، وبقدر ثباته في المناة ، تتهاوى امامه العقبات ، وتكون له الغلبة عليها ، وهكذا كانت «الاديب» منذ ابصرت النور ، وهكذا كان صاحبها ، محررها ، على وفرة من ايمان وثبات جعلته يقطع من طريقه الطويل مرحلة بعد مرحلة ، دون ان يستسلم لضعف او يستكين لعثار.

وها هي الاديب في تصعيدها تقبض على اذيال القمة وتهم ببلوغها، في حين يتهيأ الذين رافقوها بافكارهم وقلوبهم واحصوا خطواتها وتتبعوها معجبين ، للتعبير عما ينطوون عليه نحوها من احترام وتقدير، باقامة عيدها الفضي قبل انقضاء هذا العام .

تهانينا للزميلة الكبيرة المحترمة ، ولصاحبها الكريم الاستاذ البير اديب الذي نمحضه دعانا وتمنياتنا بان يبلغ بمجلته الراقية اقصى ما يتمناه من غايات .

مجلة «الاماني» بيروت

(١) كان للاستاذ محمد علي الطاهر ندوة اجتماعية سياسية ادبية في القاهرة ، تنعقد كل ليلة ، في دار جريدته « الشورى » بين سنة ١٩٢٥ و ١٩٥٥ وكان يختلف اليها ويتردد عليها امراء البيان واقطاب العالم العربي ، وفي مقدمتهم الامير شكيب ارسلان والوزير الحجازي الشيخ محمد سرور الصبان ، وأحمد حلمي باشا ، والحاج امين الحسيني زعيم فلسطين ، واحمد حسين رئيس مصر الفتاة ، وشيخ العروبة احمد زكي باشا، والدكتور محمود عزمي، وخليل بك المطران ، والسيد عبد العزيز الثعالبي زعيم تونس القديم ، والزعيم بورقيبة رئيسها الحالي ، والامير عادل ارسلان ، والمؤرخ احمد شفيق باشا ، والوزير محمد صلاح الدين باشا ، وشاعرا مصر محمد الاسمر ،وعلي الجندي وغيرهم من اعلام الشعر والادب في تلك الايام ...



مؤسسة حكومية مرصد ريعها لأعمال الاسعاف الاجتماعي

تعديلات هامة في جوائز اصداراتها

٢٠ اصدارا شعبيا	الجائزة الكبرى	٢٥٠٠٠ ل.
١٨ اصدارا شعبيا خاصا	الجائزة الكبرى	٤٠٠٠٠ ل.
٤ اصدارات سويبستيك	الجائزة الكبرى	٥٠٠٠٠ ل.
٧ اصدارات عادية	الجائزة الكبرى	٦٠٠٠٠ ل.


ملكة جمال لبنان لعام ١٩٦٦
الآنسة يولا حرب

تدفع الجوائز في المديرية
معفاة من كافة الرسوم والضرائب